"مثل قطعة مفقودة في لغز": التأثير الواقع على عائلات المفقودين في الهجرة عبر البحر المتوسط

تقرير عن وضع العائلات

أيلول **2016**

CITY UNIVERSITY LONDON
65 YEARS International Organization for Migration
IOM's Global Migration Data Analysis Centre GMDAC
THE UNIVERSITY of York
Centre for Applied Human Rights

إن الآراء المذكورة في التقرير تعبر عن آراء أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة الدولية للهجرة.
إن التصميم المقدم والمواد المستخدمة في التقرير لا تعبر عن أي من آراء المنظمة الدولية للهجرة حول الصفة القانونية لأي دولة، أو أرض، أو مدينة أو منطقة، أو السلطات فيها أو الحدود.

يتقدم فريق العمل بكل الشكر لمساهمات عائلات المفقودين والناجين والمنظمات الدولية والسلطات الحكومية التي وافقت على إجراء المقابلة، وكذلك العاملين في منظمة الهجرة الدولية لتقديمهم النصح في صياغة هذا التقرير. وأي خطأ هو مسؤولية الكتّاب وحدهم.

صورة الغلاف تعرض امرأة تونسية تحمل صور ولدَيها المفقودين

الصورة من الخرشي عبدالله. جميع الحقوق محفوظة

فهرس المحتويات

الملخص التنفيذي 4
مقدمة 6
الهدف من المشروع 6
قانون حماية حقوق الإنسان الدولي- التزامات الدول 7
منهجية البحث وانتقاء العينات: 7
قضايا اخلاقية 8
المهاجرين المفقودين: ظروف الرحيل والاختفاء 9
تـونس: 10
سوريا والعراق 10
الموقف تجاه مصير المفقود 11
الغموض حول مصير المفقود 11
الاعتقاد بأن المفقود على قيد الحياة 12
الاعتقاد أن المفقود ميت: 13
إحتياجات العائلات 14
الحاجة لإجابة 14
استخراج الجثث ودفنها 15
سبل العيش: 16
التأثير الواقع على العائلات التي يوجد فيها مفقود 17
التاثير النفسي والعاطفي 17
التأثير في العائلة 19
التأثير الاجتماعي 20
آليات التأقلم والدعم الموجود 21
الفقدان الغامض كعدسة للتأثير على العائلات: 23
البحث عن الأقارب المفقودين: 24
الأعمال التي قامت بها العائلات 24
وسائل التواصل الاجتماعي واستخدامها من قبل عائلات المهاجرين المفقودين 25
استجابة السلطات 27
النتائج والتوصيات 29

التوصيات..... 30
الملحق I: عينات أفراد العائلات الذين تمت مقابلتهم..... 33

الملخص التنفيذي

أصبحت صور حطام السفن القاتلة وجثث المهاجرين من بين الصور الأكثر شهرة في أزمة اللاجئين الحالية في محيط الاتحاد الأوروبي، فقد بلغ عدد الذين قضوا على شواطئ البحر المتوسط أكثر من 6,600 شخص خلال عام 2015 والنصف الأول من 2016، بالإضافة إلى عدد آخر من الضحايا غير المسجلين[1]. ولم يتم التعرف على غالبية الجثث التي تمّ جمعها، وليس هناك أي إمكانية للتعرف على الجثث التي لم يتم العثور عليها. فعلى الرغم ممّا قام به الإعلام ومجموعات الدعم من تسليط للضوء على قضية اللاجئين، وتركيزهم على الحقيقة المأساوية فيما يتعلق بالقوارب المحطمة، إلا أن ما تم ذكره عن المفقودين وعائلاتهم لا يزال قليلا جدا، حيث يتم دفن معظم الجثث دون التعرف عليها، وبالتالي فإنّ آلاف العائلات من دول اللاجئين تبقى دون علم بمصير أحبائهم الذين هاجروا إلى أوروبا.

وينطبق قانون حماية حقوق الإنسان الدولي على حالات موت المهاجرين والفقدان على الحدود الدولية، ويضع الواجب على الدول بناء على الاتفاقيات الدولية للتعرف على الميت، واحترام حقوق عائلات المهاجرين المفقودين. وينص قانون حقوق الإنسان الدولي بوضع التزامات على الدول للقيام بالتحقيقات الفعالة حول الموت المشبوه، ويتضمن هذا اتخاذ الخطوات اللازمة للتعرف على الجثة، مع تأمين الدليل، وذلك دون وجود أي تفرقة بين موت مواطن أو غير مواطن. ويتم فهم التحقيقات الفعالة على أن تتضمن الجهود لجمع الجثث والمتابعة مع العائلات واطلاعهم على الأخبار والمستجدات. ويتضمن حق العائلة في الحياة إشراك العائلة في التحقيقات حول الوفاة وفي عملية دفن جثة القريب. إن الفراغ السياسي الموجود لدى الدول _والذي تمت دراسته في هذا البحث_ يوضّح أنه ليست جميع هذه الحقوق معروفة أو خاضعة للتطبيق.

إن عائلات المهاجرين المفقودين هم ضحايا هذه الكارثة الإنسانية ولكن لا يزال التأثير الواقع عليهم غير معروف، وعادة ما يتم إغفال تمثيلهم في النقاشات التي تتناول موضوع إدارة الجثث وأزمة الحدود، وهم عادة غير قادرين على الانخراط مع السلطات المتمكنة من التعرف على جثث فلذات أكبادهم. ويلخص هذا التقرير مقابلات أجريت مع 84 عائلة ممن فقدوا أفرادا منهم، عبروا إلى أوروبا عن طريق البحر المتوسط من تونس، و سوريا، والعراق وغيرها. وتهدف هذه الدراسة إلى منح الصوت لهذه العائلات للتعبير عن التأثير النايج لفقدان أحد أفراد العائلة في الهجرة.

إن الحاجة الأساسية للعائلات هي معرفة الحقيقة: فهم يبحثون عن الحقيقة عن طريق معلومات تتعلق بمصير أحبائهم، فهم يريدون معرفة إن كان الشخص المفقود قد رحل أو لازال على قيد الحياة، وفي كلتا الحالتين يريدون معرفة مكانه، فإنْ كان المفقود قد فارق الحياة، تطالب العائلات باسترجاع الجثة ليتم تكريمها ودفنها في مكان تستطيع العائلات زيارته، حيث تعتبر العائلات مكان الدفن جزءا من المجتمع الخاص بهم.

إنّ فقدان شخص في العائلة له تأثيرات متعددة، حيث يمكنهم الحزن على وفاة الشخص الميت، لكنّ الاختفاء يعدّ أمراً لا يمكن فهمه بسهولة في ضوء الحياة اليومية، ممّا يضع أفراد العائلة في موقف يصعب استيعابه. وقد ظهرت على العائلات التي تم إجراء المقابلات معها مظاهر مرتبطة بكل من الصدمة والفقدان الغامض، وتتضمن كذلك الحزن، واضطرابات النوم، وكوابيس متعلقة بالمفقود واليقظة المفرطة [2]. كما تحدثت العائلات عن حالة من الركود والشعور بأن الحياة قد توقفت منذ اختفاء الشخص، وأشار البعض إلى مشاكل نفسية سببها حالة الفقدان، وبأنهم يتلقون علاجا لهذه المشاكل.

إنّ وجود شخص مفقود يزيد من الصراعات العائلية حيث يلجأ الأفراد إلى العزلة واهمال العلاقات مع باقي العائلة، ولذلك يستمر الهوس بمصير الشخص المفقود، كما يوجد تضارب في آراء الافراد حول ما حدث للشخص المفقود في كثير من العائلات، مما يزيد من الصراعات العائلية التي قد تصل إلى منع مناقشة مصير الشخص المفقود نهائياً . وقد اتضح أن فقدان شخص في العائلة يؤثر على توزيع الأدوار العائلية، وخاصة بالنسبة للنساء اللواتي يلعبن أدوار أكبر في العائلة التي يختفي فيها الرجل، وغالبا ما يكون هذا الرجل هو الزوج. كما تحدثت النساء عن كونهن أصبحن هدفا

[1] https://missingmigrants.iom.int/mediterranean

[2] اليقظة المفرطة هي حالة من الشعور العالي بالحواس يصاحبه كثافة مبالغ فيها لسلكويات اكتشاف التهديدات.

للمضايقات عند اختفاء أزواجهنّ، حيث تواجه النساء صعوبات في تحديد وضعهن، فهن يعشن حالة مبهمة تتأرجح بين الزوجة والأرملة، هذا وترفض زوجات المفقودين احتمال الزواج مجددا ما لم تتوفر معلومات مؤكدة عن مصير أزواجهن.

هذا وقد أوضحت بعض العائلات وجود مشاكل في الظروف المعيشية، وخاصة في تونس لدى العائلات التي بقيت دون الدعم المادي من الشباب والتي كانت الفئة الأكثر إنتاجا في العائلة.

وقد لوحظ لدى عائلات المفقودين آليات للتأقلم مع هذا الوضع، وفي معظم الحالات تعمل هذه الآليات بشكل جيد، على الرغم من كل الألم والقلق الموجود. فالتضامن وسيلة عظيمة للدعم، حيث تتواصل العائلة مع عائلات أخرى في المجتمع ممن لديهم مفقودين أيضا كما هو الحال في تونس حيث أدى ترابط العائلات إلى جمع الناس في رابطة لعائلات المفقودين. كما وجدنا أنّ العقيدة الاسلامية لدى العائلات المتضررة من أكثر وسائل الصمود والقوة.

وتم استخدام هذه البيانات للمساعدة على فهم التأثير الشديد لاختفاء شخص في العائلة – وكذلك للتركيز على أهمية التعرف على جثث الذين يلقون حتفهم أثناء عبورهم البحر المتوسط_ وإيجاد طرق تساعد العائلات على العيش والاستمرار بالرغم من عدم معرفة مصير أحبائهم. إن عدسة الفقدان الغامض هي إحدى الطرق لفهم التأثير الذي يتركه الأمر على العائلات وكذلك إفساح المجال للطرق العلاجية، و يقدم الأمر على أنه مثال يمكن من خلاله تقديم العون لفهم التأثير الذي يخلفه فقدان شخص في الهجرة. ويمكن دعم طرق التأقلم الحالية عبر التأكيد على أن الراوبط العائلية قادرة على جمع العائلات معا، و أنّ الاجتماعات العائلية هي عنصر علاجي هام بلا شك.

إننا نأمل أن يساعد هذا التقرير في التشجيع على إيجاد طرق تستطيع تقليل أعداد جثث المهاجرين التي يتم جمعها على الحدود الجنوبية لأوروبا، والتي تبقى مجهولة الهوية، فالثمن الذي تدفعه هذه الجثث المدفونة في ليسبوس وصقلية والتي لم يتم التعرف عليها، هو حالة الصدمة التي تصيب العائلات نتيجة لذلك. وفي الحقيقة فالعائلات تقع في زاوية غير مرئية، فدورها ضئيل في المحاولات البائسة للتعرف على الجثث، والتي تتطلب مطابقة بيانات ما بعد الوفاة مع بيانات ما قبل الوفاة القادمة من العائلات، وبما أن الدول الأوروبية لا تملك أي تواصل مع العائلات المتضررة في دول المهاجرين أو أي مكان آخر فإنّ عملية التعرف على الجثث تبقى مستحيلة، ويحتاج الأمر لوضع العائلات في محورعملية البحث، وأن تبقى احتياجاتهم محط الأنظار ليس فقط لأسباب تقنية فحسب ، ولكن من جهة سياسية أيضا –كأن يكون صوتهم مسموعا- لتعزيز الدعوة لبذل الجهود لتتم عملية التعرف على المفقودين.

مقدمة

هناك فراغ كبير كقطعة مفقودة في لغز (تونس 27)

أصبحت صور حطام السفن القاتلة وجثث المهاجرين من بين الصور الأكثر شهرة في أزمة اللاجئين الحالية في محيط الاتحاد الأوروبي، فقد بلغ عدد الذين قضوا على شواطئ البحر المتوسط أكثر من 6,600 شخص خلال عام 2015 والنصف الأول من 2016، بالإضافة إلى عدد آخر من الضحايا غير المسجلين[3]. ولم يتم التعرف على غالبية الجثث التي تم جمعها، وليس هناك أي إمكانية للتعرف على الجثث التي لم يتم العثور عليها، فعلى الرغم ممّا قام به الإعلام ومجموعات الدعم من تسليط للضوء على قضية اللاجئين، وتركيزهم على الحقيقة المأساوية فيما يتعلق بالقوارب المحطمة، إلا أنّ ما تمّ ذكره عن المفقودين وعائلاتهم لا يزال قليلا جدا[4]، حيث يتم دفن معظم الجثث دون التعرف عليها. وبالتالي فإنّ آلاف العائلات من دول اللاجئين تبقى دون علم بمصير أحبائهم الذين هاجروا إلى أوروبا.

إن العائلات هي المتضرر الحقيقي والأكبر لهذه المأساة الإنسانية، إلا أنهم مُهمَلون، وبغياب الجثة التي يجب دفنها تجد العائلة نفسها عالقة في حالة من الغموض، فهم لا يعرفون مكان أحبائهم، هل هم أحياء أم أنّهم فارقوا الحياة، فإن كانوا قد فارقوا الحياة، فمكان الجثة يبقى مجهولا. تعاني العائلات من الفقدان الغامض، وهو فقدان مؤلم يؤدي إلى أعراض كالاكتئاب، والقلق، والصراعات العائلية. فالفقدان الغامض هو أشد أنواع الفقدان تعقيداً وذلك لأنه غير مفهوم، والسياسات الحالية عاجزة عن زيادة احتمالات التعرّف، وتعيق أي تواصل بين السلطات والعائلات، مما يعني أن العائلات سوف تبقى عالقة في هذه الحالة الغامضة.

الهدف من المشروع

الدراسة كجزء من مشروع المفقودين في البحر المتوسط تهدف لجعل الضحايا المهمشين من عائلات المفقودين محطّ الأنظار في القضية. فالعائلات غائبة عن النقاشات كغياب المفقودين عن حياة عائلاتهم. لقد عملنا على دراسة أنواع التأثير الواقع على العائلة التي تحتوي على مفقودين والتركيز على احتياجاتهم وفقا لتجاربهم عبر إيصال صوتهم من خلال إجراء مقابلات شبه منظمة مع عائلات المفقودين في تونس، وسوريا، والعراق وغيرها. وبما أن هذه العائلات لا تملك أدنى معلومات عن أحبائهم، ولا دليلا على وصولهم لأوروبا، فلم يتم وضع أي فرضيات حول ربط الجثث التي لم يتم التعرف عليها مع عدم تواصل المفقودين مع عائلاتهم. وبالتالي، تعتقد العائلات أن أحبائهم على قيد الحياة ولكنّهم غير قادرين على التواصل معهم. وبغض النظر عن حقيقة كل حالة بذاتها، يبقى إيجاد حل لمشكلة المفقودين- سواء كانوا أحياء أو اموات- هو ما يجب أن تقوم به أوروبا. وتدفع الحاجة عائلات المفقودين لبذل الجهود في التعرف على الجثث ولكن في الواقع يعتمد الأمر بشكل كبير على المعلومات التي تستطيع تقديمها هذه العائلات وحدها، ويسعى هذا التقرير إلى البدء بالسماح بنشر الآثار الواقعة على عائلات المهاجرين المفقودين واحتياجاتهم والتعبير عنها بطريقة تظهر مدى ضرورة وصعوبة هذه الكارثة الإنسانية المتسمّرة أمام أعين واضعي السياسات على طرفي البحر المتوسط، وكذلك يسعى التقرير إلى تعريف الجهود لدعم العائلات التي لازالت تنتظر إجابات عن مصير أحبائهم.

إن الهدف المحوري لمشروع المفقودين في البحر المتوسط هو تقديم توصيات سياسية مصحوبة بالأدلة حول الطرق الفعالة للتعامل مع التحدي الإنساني للمهاجرين المفقودين. وختاما، استمرّ هذا المشروع لمدة 12 شهراً ورسم بتفصيلٍ المخططات الموجودة ضمن القانون والسياسة وعلى أرض الواقع في الدول المستقبلة للاجئين، وكذلك عمل على شرح ماهية الأثر الناتج عن جود شخص مفقود في العائلة. للتعرف على مجموعة الاستجابات في السلطات المحلية، قمنا بالتركيز على نقطتي دخول رئيسيتين للمهاجرين واللاجئين، وهما: جزيرة ليسبوس اليونانية والإقليم الحدودي في صقلية، إيطاليا، وقد شهدت كل من هاتين النقطتين العديد من السفن المحطمة في السنوات الأخيرة، وأجرى الباحثون مقابلات مع الفاعلين المحليين، ومن بينهم: سلطات البلدية، المنظمات الدولية، خفر السواحل، المحققين، مكاتب الدفن، وغيرهم من المعنيين لوضع خطة سياسة العمل القائمة، بينما عمل الحقوقيون على تجهيز مذكرات تلخص الإطار القانوني الوطني في اليونان وإيطاليا، مع التركيز على واجبات الدول وفهم حقوق العائلات. ولتسليط الضوء على احتياجات عائلة المفقود قمنا بإجراء مقابلات مع عائلات المفقودين في تونس وكذلك سوريا والعراق. ولقد قمنا بأكثر من 130 مقابلة شبه منظمة مع السلطات والمنظمات وعائلات المفقودين.

[3] https://missingmigrants.iom.int/mediterranean

[4] انظر تقارير ايطاليا واليونان في مشروع المهاجرين المفقودين

قانون حماية حقوق الإنسان الدولي- التزامات الدول

يتم تطبيق القانون الدولي لحقوق الإنسان في حالات الموت أثناء الهجرة والفقدان على الحدود الدولية، وتقع المسؤولية على الدول بناءً على اتفاقيات دولية للتعرف على الجثث واحترام حقوق عائلات المهاجرين المفقودين. ويعدّ هذا ملخصاً في مذكرة قانونية صادرة كجزء من مشروع المهاجرين المفقودين في البحر المتوسط [5]. ويقع على الدول واجب احترام حقوق الجميع دون تفرقة، واحترام الحق في الحياة الأسرية لأقارب المفقودين الموجودين في البلد، واتخاذ إجراءات خاصة لحماية المهاجرين المفقودين. ويدعو قانون حماية حقوق الإنسان لإلغاء الفوارق بين موت المواطن وغير المواطن، وأن يتمّ اتخاذ الخطوات الواجبة لمنع حدوث الموت وإجراء تحقيقات حوله.

ما يتضمنه قانون حماية حقوق الإنسان هو:

- على الدول القيام بالتحقيقات الفعالة لكافة حالات الموت المشبوهة وتتضمن اتخاذ الخطوات اللازمة للتعرف على الجثة والحصول على الدلائل، وتتضمن التحقيقات الفعالة جهودا لجمع الجثث والمتابعة وإبلاغ العائلة.

- حق الحياة للعائلة يتضمن إشراك الأقارب في التحقيقات وفي دفن جثة الميت.

- حماية الأطفال الذين فقدوا ذويهم حيث يتضمن احترام مصالحهم في كافة الأوقات واتخاذ إجراءات خاصة لحماية هويتهم، ويتضمن هذا الجنسية، والاسم، والعلاقات الأسرية.

صورة رقم 2: ممتلكات ووثائق وجدت على شواطئ ليسبوس

إنّ الفراغ السياسي الموجود لدى الدول والذي تمت دراسته في هذا البحث يوضح أنّ هذه الحقوق ليست جميعها معروفة أو خاضعة للتطبيق.

منهجية البحث وانتقاء العينات:

تهدف الدراسة لفهم التأثير الواقع على عائلات المفقودين واحتياجاتهم باللغة التي يستخدمونها، للتعبير عن عائلات الذين فُقِدوا أثناء عبورهم البحر المتوسط في السنوات الأخيرة.، والذي احتل في غالبيته المهاجرين من السوريين، والأفغانيين، والعراقيين[6]، بالإضافة لأعداد كبيرة من الذين غادروا شمال إفريقيا عقب أحداث الربيع العربي في بدايات 2011. وقد تمّ إجراء مقابلات نوعية شبه منظمة مع 84 عائلة من عائلات المهاجرين واللاجئين المفقودين، وأغلبهم من تونس، وسوريا، وتتضمن أيضا عائلات من العراق، وفلسطين، ومصر. وتهدف هذه المقابلات لإفساح المجال للعائلات لتعبر عن أولوياتها وتصوّرها لما حدث لهؤلاء المفقودين، وكذلك لتعبر عن التأثير الناتج على أفراد العائلة، وتمّ إجراء كافة المقابلات بين نوفمبر 2015 و أبريل 2016.

لقد قمنا بمراعاة المشاركة الثقافية للفرضيات المطروحة من قبل العائلات عند إجراء المقابلة، وبالتالي تمّ استخدام اللغة ذاتها التي استخدمتها العائلة في المقابلة عند وضع الخلاصة العاطفية أو أي تأثير آخر بدلا من وضعها ضمن إطار منهج طبي أو نفسي اجتماعي، وعمد الباحثون إلى توخي الحذر بشدة لاستخدام مفردات العائلة في وصف حالة المفقود، وعدم طرح أي فرضية حول مصيره. وفي الحقيقة، فإنّ هذا قد منعنا من طرح بعض الأسئلة كاحتمال استرجاع الجثة ، فعندما ترفض العائلة احتمال الموت، لايمكن مناقشة قضية كهذه معها .

أجريت كافة المقابلات شخصياً في تونس من قبل باحثة عملت لسنوات طويلة مع العائلات المتضررة، بينما أُجريت العديد من المقابلات مع عائلات من جنسيات أخرى عبر طرق التواصل الاجتماعي من قبل باحثة سورية تتحدث العربية والتركية. وتم إجراء غالبية هذه المقابلات عن بعد باستخدام الهاتف أو اتصال سكايب مع أفراد العائلات الموجودة في أوروبا – أغلبهم رافق الشخص المفقود في الرحلة _أو مع عائلات موجودة في الشرق الأوسط. وتمت مقابلة عدد من العائلات المهاجرة في تركيا وأجريت المقابلات معها شخصيا. كما

[5] Grant., S. (2016) *International Human Rights Law: The Obligations of States*, York: Mediterranean Missing Project.

[6] http://data.unhcr.org/mediterranean/regional.php It is however worth noting that Eritreans who are well represented among those crossing the Mediterranean are absent here, due to challenges in finding communities of families that are readily accessible. .

سُجّلت هذه المقابلات صوتياً بعد الحصول على الموافقة، وتمّت كتابتها وترجمتها، ومن بعد هذا تمّ تحليل النص النهائي، أمّا في بعض الحالات التي رفضت فيها العائلة تسجيل المقابلات صوتيا، أُخذت الملاحظات كتابياً.

الجدول رقم 1 يلخص تفاصيل أفراد العائلات الذين تمّت مقابلتهم، و تلخيص لكافة الأفراد الذين تم إجراء المقابلات معهم في الملحق 1.

الجنس	
انثى	55
ذكر	29

طبيعة المقابلة	
عبر الانترنت	32
شخصيا	52

صلة القرابة بالمفقود	
أم	44
أب	16
اخ/ اخت	10
أبن عم	4
زوجة	7
ابن/ ابنة	2
خال/ خالة- عم/ عمة	2

الجنسية	
تونس	47
سوريا	25
عراق	6
فلسطين	6
مصر	1

الجدول 1: تلخيص شرائح أفراد الأسر التي تم مقابلتها

قضايا اخلاقية

إن إجراء مقابلات مع أشخاص ضعفاء عادة ما يفرض العديد من القضايا الأخلاقية، حيث تعامل هذا البحث مع أفراد يعانون جميعا من فقدان أحبائهم، وفي العديد من الحالات كانت العائلات تعاني من صعوبات الهجرة خارج الوطن. وعلى الرغم من وجود مقالات حول العمل مع الضحايا الواقعين تحت الصدمة من وجهة نظر علاجية، إلا أنّ ما كتب عن الطريقة التي يستطيع الباحثون من خلالها التعامل دون وجود خطة للتدخل العلاجي قليل جدا. ويرى بعض الباحثين أنه " من خلال إجراء المقابلة بحنكة وحساسية، يستفيد الأشخاص من الحديث عن تجاربهم بشفافية"[7]، وهناك بعض البيانات العددية التي تدعم هذا[8]، أغلبها ينبع من تولد أفكار جديدة نتيجة للمشاركة والحديث مع الأشخاص الذين تم إجراء المقابلات معهم، كما وجدت نتائج سلبية لضحايا الصدمة المشاركين في البحث، فقد يتسبب الباحث بضائقة نفسية لمن أمامه ومن ثم يترك الشخص في حالة غير مرغوب بها[9].

وتتضمن القضايا الرئيسية التي عمدنا إلى توضيحها : الحصول على الموافقة فيها من قبل كافة الأفراد، و قضية السرية التامة في التعامل وقضية عدم كشف الهوية عند استخدام عبارات العائلات.، وكذلك قمنا بالتوضيح أن هذا البحث لن يقدم المنفعة المباشرة للعائلات، إلا عن طريق الدعوى للاهتمام في القضية كنتيجة عن البحث.

تم إجراء المقابلات في تونس من قبل باحثة تعرفها العائلات جيدا، حيث عملت معهم على مدى عدة أعوام، وكانت قد تلقت تدريباً نفسياً اجتماعياً ولديها خبرات علاجية أيضا، وقد وصلت هذه الباحثة إلى العائلات عن طريق رابطة لعائلات المفقودين، والتي كانت الباحثة مقربة منها، وبما أن العائلات التي تمت مقابلتها هي جزء من الرابطة العائلية التي تجمع عدة أسر تعاني من المشكلة نفسها، فإن هذه العائلات كانت قادرة على توفير الدعم لبعضها البعض بعد المقابلة. هذا وقد ازدادت قدرة العائلات

[7] Bell, Pam (2001) The ethics of conducting psychiatric research in war-torn contexts. In Smyth, Marie and Robinson, Gillian (eds.), Researching violently divided societies: Ethical and methodological issues. London: Pluto Press: 185.

[8] .Newman, Elana and Kaloupek, Danny G. (2004) The Risks and Benefits of Participating in Trauma-Focused Research Studies. Journal of Traumatic Stress, 17(5): 383 – 394.

[9] Ibid, and Supra n.7 at p.9.

على مناقشة مصير المفقود حيث مضى على حادثة الفقدان أكثر من 4 سنوات، مما زاد في قدرتهم على التعامل مع الموضوع.[10]

وبلا شك فإن المقابلات التي أجريت مع العائلات من سوريا والعراق كانت أكثر تعقيداً، لا سيما المقابلات التي أجريت عن بعد. حيث أنّ هذه العائلات فقدت عزيزاً مؤخراً - وفي أغلب الحالات شهدت هذه العائلات تحطّم السفن أثناء عبورها في البحر المتوسط، ويعيش الكثير منهم بعيدا عن أوطانهم كلاجئين مما يزيد من نسبة ضعفهم. لقد لجأنا إلى إجراء المقابلات عبر الهاتف والانترنت بسبب قلة البدائل في الوصول إلى تلك العائلات في مجتمع مشتت كثيرا، حيث تنتشر العائلات التي فقدت أحدا ما في ذروة وصول اللاجئين بحرا في كل بقاع أوروبا، وكذلك في المخيمات والمدن التركية وفي سوريا والعراق. لذلك كانت الحاجة للحديث مع هذه العائلات مدفوعة بعدم القدرة على إيجاد طريقة أخرى لضمان وصول أصواتهم.

وتم اتخاذ العديد من الخطوات لضمان أن البحث يعتمد على الموافقة المعلومة من العائلات مع العمل على تقليل مستويات الخطورة الشخصية عليهم.أول هذه الخطوات، كان العمل مع باحثة هي نفسها لاجئة من سوريا، وكانت قد واجهت العديد من التحديات التي تواجهها العائلات. ثانيا، تواصلت الباحثة مع العائلات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهي عائلات نشرت قصتها على صفحات الانترنت كوسيلة لمعرفة ما حلّ بمصير الشخص المفقود. وتمّت المناقشة مطولا عبر وسائل التواصل الاجتماعي أوعن طريق الايميل مع الباحثة، للحصول على الموافقة في إجراء المقابلة وتسجيلها، وفي أثناء هذه الفترة الطويلة تم بناء الثقة بالباحثة تدريجياً. وحصلت الباحثة على فرصة مناقشة أهداف المشروع والطرق المستخدمة فيه بالتفصيل، وأمور أخرى كطبيعة البحث، والأشخاص المعنيين، والعائدات المتوقعة. ويمكن الاطلاق على هذه العملية "بالموافقة حسب العملية المطولة"[11]، وهو ما يضمن درجة من المساءلة أمام الباحثة، ورفض بعض الذين تم التواصل معهم إجراء المقابلة حيث لم يجدوا أي نفع مباشر من المشاركة في البحث، كما أن بعض هذه العائلات الموجودة في سوريا لم يكن يعنيهم موضوع المفقود كأولوية كبرى، طالما " أننا نتعرض للموت يوميا ".

وفي كثير من الحالات، كان حديث العائلة عن تجربتهم مدفوعاً برغبتهم في نشر هذه القصص على أكبر نطاق ممكن، وهو ما كانوا حريصين على القيام به، وكنتيجة للعلاقات التي تم بناؤها بين العائلات والباحثة، كانت المحادثة تستمرّ بعد الانتهاء من المقابلة الرسمية، وكانت تغطي مواضيع عديدة، وهذا بحد ذاته دليلٌ على أن المقابلة لم تسبب تكرار الصدمة مجدداً لدى العائلات. وكذلك يرى الذين شاركوا في البحث أنّ ما يقدمونه هو جزء من الجهود المبذولة لمنع تغييب الحقيقة. في نهاية المطاف: يبدو أنّ مناقشة حالة المفقود يجعله أقل غياباً.

والدليل على أنّ المقابلات لم تخلف أيّ أثر سلبي على الأشخاص هي أنّ المقابلات استمرّت حتى نهايتها، فعلى الرغم من إبلاغ العائلات مسبقاً بحقها في إنهاء المقابلة في أي وقت يشعرون بعدم الرغبة بالاستمرار، إلا أنه تمّ استكمال كافة المقابلات. وبالإضافة إلى ذلك، قام بعض الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات بالإشارة إلى أصدقاء آخرين ممن لديهم مفقود في العائلة، على اعتبار أنهم وجدوا العملية تستحق المشاركة. ونجد دليلاً آخر على العلاقة بين الباحثة وعائلات المفقودين أنّه عندما أراد بعض الصحفيين الحديث إلى العائلات قاموا بطلب المساعدة من الباحثة لتيسير المهمة، وفي معظم الحالات تمّ رفض هذا من قبل العائلات، وهو ما يدلّ على أن العائلات آمنت بوجود نفع عائد من المشاركة بالبحث، ولكن الأمر ليس كذلك عند الحديث مع الإعلام، وعلى الرغم من عدم وجود أي جهود واضحة لتقديم الدعم كجزء من المقابلة، إلا أنّ الباحثة كان ترشد العائلات نحو المصادر الهامة، والمترجمين، وأرقام التواصل الهامة، هذا بالإضافة لكونها شخصاً يستطيعون مشاركة قصصهم معه ويستطيعون "البكاء معا" وهذا مظهر متواضع من مظاهر التضامن المهم لعائلات المفقودين.

المهاجرين المفقودين: ظروف الرحيل والاختفاء

يمثل الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات من تونس والشرق الأوسط نموذجين مختلفين كثيرا. فأغلب المفقودين في السياق التونسي، شبان في مقتبل العمر، ممن غادروا بمفردهم في 2011 و 2012 ، عقب سقوط الرئيس بن علي بحثاً عن فرص أفضل في الحياة. بينما رحل المهاجرين من الشرق الأوسط مع عائلاتهم هرباً من العنف والاقتتال، وفي كثير من الحالات كانوا هم الناجين من حطام السفن التي فقدوا فيها أقاربهم.

[10] Smyth (2001) draws attention to the timing of interventions with the traumatised: meeting subjects too soon after traumatic experience may report early shock and denial, in contrast to the true impact of trauma.

[11] Mackenzie, C., McDowell, C. and Pittaway, E. (2007) Beyond 'Do No Harm': The Challenge of Constructing Ethical Relationships in Refugee Research, Journal of Refugee Studies, 20 (2): 299-319.

تـونس:

بدأ الربيع العربي وتغير نظام الحكم في تونس، ومنحت الثورة الشباب فرصاً جديدة، كما منحتهم الدافع للسفر إلى أوروبا. وبالتالي فهم يمثلون حركة هجرة كلاسيكية، في الهرب من الفقر، والبحث عن العمل وسبل حياة أفضل، كما تقول أحد أمهات الشباب المفقودين:

ابني لم يرحل لأنه كان مجرما أو كان له مشاكل مع القانون، ترك ابني البلد نتيجة لمعاناته من الوضع الاقتصادي السيء والبطالة. ترك ابني البلد لأنه كان يطمح بالعمل والشعور بالحرية والإنجاز . (تونس 29)

إن هؤلاء الشباب مفقودين منذ 5 اعوام.

وشهدت العائلات مغادرة هؤلاء الشباب، وهم جميعهم شباب في مطلع العشرينيات، غادورا مع قليل من الحذر، وفي كثير من الحالات غادروا دون إخبار أهلهم. وقال أغلب الأهالي أنهم طلبوا من أبنائهم عدم السفر، ولكن لم يستطيعوا منعهم من ذلك. ويحمل جميع هؤلاء الشباب أجهزة هواتف للاتصال بعائلاتهم واطلاعهم على التطورات، وعادة ما يتصلون بهم فور دخولهم المياه الإقليمية الإيطالية.

> لقد جاء لرؤيتي وليخبرني أن جميع أصدقائه قد سافروا. لقد حاولت منعه منذ أن كان صغيرا. لقد جهز أشياءه خلال 5 دقائق. كنت دائما ضد الهجرة. أنني قد أموت بعده. ولكن هذه المرة كل شيء حدث بسرعة كبيرة، ولم يكن لدي وقت للتفكير. وبقينا على تواصل عبر الهاتف. عند حوالي الثانية صباحا اتصل بأخته ليخبرها أنهم في عرض البحر وأن كل شي على ما يرام. ولكن هذا كان اتصاله الأخير [...] ولقد بقينا على طول سنة كاملة نتصل برقمه، الهاتف يرن، ولكن لا أحد يجيب . (تونس 06)

سوريا والعراق

خلافا لحال الشباب المفقود في تونس، فالمهاجرين من سوريا والعراق سافروا ضمن مجموعات من العائلات في الشهور والسنوات الأخيرة. (أكثرها في 2015، انظر الجدول رقم 2، على الرغم من أن العراقيين يسافرون إلى أوروبا منذ وقت طويل). فهم يهربون من العنف الدموي الذي اجتاح المنطقة. ويتقدم أغلب الواصلين بطلب اللجوء فور وصولهم أوروبا – إن تمكنوا من الوصول_ وفي كثير من الحالات تم إجراء مقابلات مع أشخاص ناجين من حادثة الغرق التي نتج عنها فقدان أقاربهم، وأظهرت المقابلات حجم الصدمة التي يتلقاها الأشخاص عندما يتم إنقاذهم من القارب الغارق، ليكتشفوا لاحقا أنّ بعض أفراد العائلة راح بين ميت أو مفقود:

> انطلقنا في 13 من سبتمبر من مدينة بودروم التركية. وكان هناك قرابة 152 شخصا على قاربنا... لقد كان الطقس عاصفا وكانت الأمواج تأخذ القارب يمينا ويسارا إلى أن اصطدمنا بصخرة كبيرة ،وبدأنا نغرق قبل أن نصل إلى اليابسة. لقد ألقيت بنفسي أنا وزوجي وآخرين كانوا بجانبنا من نافذة القارب إلى البحر، ومن ثم صعدنا على القارب مجددا عندما ضربتنا موجة كبيرة وألقتنا بعيدا. علقت قدماي في المياه إلى أن قام زوجي بتخليصهما، وقررنا أن نسبح بعيدا عن القارب قبل أن يسقط علينا. بقينا نسبح في الظلام لمدة 4 ساعات، ولكن خفر السواحل لم يأت لإنقاذنا. ثم بدأ زوجي بالتعب وقرر أن يسبح على ظهره. لقد كان خلفي، ولكنني لم أكن أستطيع رؤيته على الرغم من أضواء المنارة... وفجأة سمعته يناديني.. ومن ثم اختفى في وسط البحر ولم أره منذ ذلك الوقت. (تركيا 16)

> ازاد علو الموج وانقلب القارب. لقد تمسكت بجانب القارب وطلبت المساعدة من أجل زوجتي وأطفالي. سبعة أطفال، خمس بنات وطفلين، بالإضافة إلى زوجتي. نجمة تسع سنوات، شهرزاد 8 سنوات، هنا سبع سنوات، عائشة 6 سنوات، وئام شهر واحد، محمد خمس سنوات، وأحمد 3 سنوات، بالإضافة إلى زوجتي 28 سنة. حاولت أن اساعدهم ولكن لم يكن لدي سترة نجاة او طوق سباحة. وغطست تحت الماء أكثر من 10 مرات، باحثاً عنهم يمينا ويسارا. وبقيت على هذا الحال لمدة ساعتين أسبح وأغطس . وفي النهاية تعبت واستسلمت لإرادة الله. ثم جاء قارب صيد بعد ساعتين ونصف وأضاء نحونا. لقد انقذونا. وكان الناجون 6 اشخاص من اصل 23 . 3 رجال و 3 نساء [...] وبعد 11 يوم بدأ أولادي بالظهور على السطح. أولهم كانت عائشة ، وبعدها بيومين شهرزاد، ونجمة ومحمد. وقلت نعم هؤلاء هم أطفالي. كنا نذهب أنا والمترجم يوميا إلى المشرحة والشرطة للتعرف على الجثث .وبعد 40 يوم وجدت ابني أحمد. لقد بقي في الماء 40 يوم. لقد عرفته. كان وضعه مأساويا. لقد عرفته من ملابسه، لقد اشتريت له الحذاء والملابس من أزمير . [...] وانا لا زلت بانتظار زوجتي وطفلتي هنا 6 سنوات ووئام ذات الشهر الواحد. أنا لم أجدهم بعد. (تركيا 30)

ويوضح هذا أن كل عائلات المفقودين من تونس والشرق الأوسط تعاني من الآثار الناتجة عن وجود مفقود في العائلة، بينما العائلات في سوريا والعراق التي نجت من تحطم السفن- وشاهدوا جثث أقاربهم الذين لقوا حتفهم في تحطم السفن- غالبا ما يعانون من آثار الصدمة الناتجة عن حدث كهذا. وبالتالي فإن تلك العائلات معرضة لنوعين مختلفين من الصدمة: الصدمة الناتجة عن حدث مؤلم كبير والتي قد تؤدي إلى اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، والصدمة الناتجة عن الفقدان الغامض، والتي تتمتع بطبيعة مزمنة ذات عواقب عاطفية، ونفسية اجتماعية، واقتصادية، واجتماعية.

الموقف تجاه مصير المفقود

للعائلات طرق مختلفة لفهم مصير أحبائهم المفقودين، ويتأثر هذا بالظروف التي أدت إلى اختفاء الشخص واي معلومات تم تلقيها منذ ذلك الوقت، وبما أن أغلب العائلات لم يصلها معلومات رسمية من السلطات المحلية أو السلطات الأوروبية، فقد قامت العائلات بمحاولة تفهم مصير أحبائهم المفقودين من المعلومات التي وصلتهم عن طريق المهربين، والأشخاص الذين رافقوا المفقود في الرحلة، وغيرهم ممن يدعي أن لديه معلومات عن المفقود. ويؤثر هذا مجتمعاً بالإضافة إلى الآراء السائدة في المجتمع وبين باقي أقارب المفقود في الطريقة التي تحاول أن تفهم فيها العائلة موضوع الفقدان.

تصل بعض المعلومات إلى العائلات التي لم ترافق المفقود في رحلته في غضون أيام قليلة من انطلاق الرحلة وذلك عن طريق مهرب يؤكد حقيقة غرق القارب، ولكن في أغلب الحالات، يؤكد المهرب أن المهاجرين وصلوا وجهتهم بسلام- حتى بوجود أدلة مخالفة.

> لقد قرأت خبرا عن غرق بعض الأشخاص أثناء الهجرة... لقد بحثت عنهم لمدة 6 ايام، ولكن لم أجد أي شيء... لقد اتصلت بالمهرب وقال:" لقد وصل أمك وأخوك إلى الشاطئ، لقد كانوا ممسكين بأيدي بعضهم، ولكن هواتفهم أُخذت منهم على الجزيرة، وسوف يتصلون بك خلال وقت قصير". (تركيا 19)

في بعض الأحيان تنتشر حادثة غرق القارب في الإعلام، وقد تتمكن العائلات من أن تستخلص ما حدث وفقا لما لديهم من معلومات يمكن ربطها برحلة أقاربهم. وتعدّ مصادر المعلومات غير الرسمية أكثر أهمية للعائلات بوجود بعض أقارب المفقودين والأموات، وبعض الناجين الذين يحاولون التواصل مع عائلات الأشخاص الذين سافروا معهم.

> لقد تمكنا من الحديث مع أحد الناجين، لقد أخبرنا بتفاصيل العبور وأن المحرك تعطل وأن القارب قد غرق، وبناء على ما قال، لقد رأى رجالا يغرقون فقط، بينما حاول الباقي السباحة. إن هذا كل ما سمعناه! (تركيا 31)

ولكن في كل الحالات، لم تستلم العائلات اي معلومة موثوقة، مما يجعل العائلات عرضة للشائعات. لذا رأينا أنّ أحد آليات التأقلم عند العائلات التي لا تملك أي معلومة عن مصير المفقود، هي أن تبحث عن دليل على أنهم أحياء، أو البحث عن تفسير لعدم وجود أي تواصل (انظر الاسفل) ، وهذه الشائعات تغذي احتياجات كهذه.

إن أفراد العائلة الذين سافروا مع من أصبح الآن مفقودا، شهدوا عملية تحطم السفينة وما نتج عنها من آثار، وفي أغلب الأحيان شهدوا موت الكثيرين. وهؤلاء الأشخاص أكثر قدرة على تفهم احتمال غرق الشخص المفقود، ولكن لا يزال لديهم رد فعل بشري يدفعهم للتصديق بأنهم ما زالوا على قيد الحياة.

الغموض حول مصير المفقود

بما أن أغلب العائلات لا تمتلك دليلا ملموسا حول ما حدث، فإنهم يبقون عاجزين عن معرفة ما إن كان الشخص ميتاً أو لازال على قيد الحياة، وتظهر على كل العائلات تقريبا بعض مظاهر الغموض حول مصير أحبائهم المفقودين. [12]

> لا. لم أعد أشعر باي شيء الآن. إن مشاعري ماتت. لقد كنت بانتظار اتصال هاتفي، لقد كنت متأكدا أنه على قيد الحياة. هل تريد أن أخبرك الحقيقة؟ في الحقيقة أنا لا أعرف أي شيء عنه. أنا لا أعرف ان كان قد فارق الحياة او لا زال طيبا. إلا إذا بدأنا الإيمان بالمعجزات لكي أتامل أنه لا يزال على قيد الحياة وبحال جيد! لقد كنت بانتظار أن يتصل بي أو أن يطرق الباب أحد ما. (تونس 01)

> نحن لا نعرف شيئا عنه على الإطلاق منذ ذلك اليوم. إن قلبي مكسور (بكاء). إنه ابني البكر وأنا والله قلبي مكسور. أريد أن آراه أو أن اسمع صوته، ومن ثم أموت وأنا مرتاحة. لا أريد شيئا في الحياة إلا أن اسمع صوته [...].

[12] هناك أعمال كثيرة حول الغموض الذي يحيط بعائلات المفقودين وخاصة المفقودين في الصراعات، مثال:
Robins, S. (2013) Families of the Missing: A Test for Contemporary Approaches to Transitional Justice, New York / London: Routledge Glasshouse; Wagner, Sarah E. (2008) To know where he lies: DNA technology and the search for Srebrenica's Missing. Berkeley: University of California Press.

المشكلة انني لا أعرف مكانه. أتمنى فقط أن أعرف أين هو. المشكلة هي أنه مفقود. لقد خسرته. إنه أصعب شيء في الحياة. أتمنى أن أعرف مكانه. إن قلبي مكسور، هناك آلاف المفقودين مثله. ونحن لا نعرف أين هم. إن كانوا أحياء أو أموات. لقد اختفوا. (تركيا 29)

في كثير من الحالات، تظهر على العائلات مظاهر تعلق بحالات الفقدان الغامض أثناء المقابلة، فهم يقولون أنهم بانتظار عودة الشخص، كما أنهم يقولون أنهم يتوقعون أنه قد يكون ميتاً. وهذا يعرض كيف يتأرجحون بين الأمل واليأس، ويبحثون عن إجابة، ويخافون من كون هذه الإجابة سيئة. ولقد ذكرت العائلات الكثير من العبارات التي تظهر كيف يتأرجحون بين هذين الاحتمالين المتضاربين بشكل دائم.

نتمنى أن نحصل على جثته، أتمنى أن أجد جثة أخي. أوحتى جزء منه سوف يريحنا ، وسوف ندفنه في بلده بين الناس الذين يعرفونه ويحبونه. ولكنني مقتنع انه على قيد الحياة، وأنا أحتاج لدليل قاطع لأصدق أنه ميت. أنا لا أريد أن أقول أن أخي ميت ... إنه على قيد الحياة... إن الشخص الذي لم تدفنه ولا يوجد دليل يؤكد موته، لا يمكن أن نعتبره ميتا... أنا أكره أي شخص يعتقد أن أخي ميت! (تونس 19)

أنا لا أستطيع أن أضع نفسي في مكان ما: ميت \ حي. أنا دائما أتقلب بين هذين الاحتمالين. وبما أن الدليل غير موجود. سوف أبقى على هذا الوضع. (تونس 32).

الاعتقاد بأن المفقود على قيد الحياة

قال عدد لا بأس به من العائلات أنهم يعتقدون بشكل قطعي أن أقاربهم المفقودين لا يزالون على قيد الحياة وإن إنعدم الدليل لإثبات هذا. وقالوا لتوضيح الغموض حول موتهم:

أنا أعتقد أنهم على قيد الحياة... لا أعرف أين، ولكنني متأكد أنهم أحياء... إنه حدس الأم.. قال كثيرون أنهم في مصر.. ولكنني أعتقد أنهم في إيطاليا، إن شاء الله. أنا متأكدة من هذا 100% [...]. 10 من 10 أعتقد انهم أحياء.

عبرت الأمهات في كثير من الحالات عن وعي مؤكد فهن يعتقدن أن أبناءهن على قيد الحياة:

قلبي يقول لي إنه على قيد الحياة في تركيا. ولكنني لا أعلم أين. أتمنى لو أنني أعرف. لأنه ليس موجودا في البحر، أين يمكن أن يكون؟ انا أحلم به دائما ويقول لي في المنام، أمي أنا بخير وأنا أحتاجك. [...]. ابني ليس ميتاً. إن كان ميتاً لكانوا وجدوه مع باقي الأطفال، ولكنه لم يمت. (تركيا 36).

تتضمن البيانات التي تم جمعها من العائلات الكثير من أقوال مصدرها الشائعات ومصادر أخرى تختلف في المصداقية، وفي أثناء البحث عن معلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تلقت العائلات الكثير من المعلومات المغلوطة والمزعجة، مثل هذه العائلة التي تبحث عن ابنتها ذات السبع سنوات:

قال بعض الناس أنهم رأوها في أزمير في تركيا، بينما قال البعض أنها في ليمباخ في ألمانيا، نحن نبحث في كلتا المدينتين وننسق مع الصليب الأحمر... كان هناك عائلة من دمشق معهم على القارب، ربما تكون غادرت معهم. كتب بعض الناس على الفايس بوك أنهم رأوها .. لقد تواصنا معهم، وقال شخص آخر إن عائلة أخذتها معها كابنة لهم. وقال أحد الأشخاص أنها موجودة في أزمير، تواصلنا معهم، ولكنهم حذفوا التعليق بعد ذلك. لقد وضعنا منشورا على الفايس بوك أنها مفقودة، فأجابوا أنها موجودة لديهم، وعمرها 7 سنوات، وهي من الحي الفلاني، وباقي التفاصيل كلها، ولكنهم مسحوا التعليق لاحقا... (تركيا 08)

ومن هنا نجد أنه من الممكن أن يكون لوسائل التواصل الاجتماعي قدرة كبيرة في السماح بمشاركة معلومات بخصوص المفقود، إلا أنها قد تكون خطرة على العائلات، فقد تعمل على خلق توقعات غير منطقية في بعض الحالات، وقد يصبح هؤلاء الناس ضحايا لمن يبحث عن فرصة لاستغلال ضعف الآخرين (انظر الأسفل).

إنّ أشد القصص خداعاً هي قصص أناس تم عرض صورٍ ومقاطع فيديو عليهم، يظهر فيها أحباؤهم المفقودون في أوروبا. حيث أن جزءاً كبيراً من العائلات التونسية مقتنعة بأنهم تعرفوا على أحبائهم المفقودين في مقاطع فيديو يظهر فيها آلاف المهاجرين من تونس عند وصولهم إلى جزيرة لامبادوسا في 2011:

ثم شاهدنا على التلفزيون الإيطالي مقطع فيديو متداول على الانترنت... لقد تعرفت على ابني في هذا المقطع. إنه هنا [...] إنه ابني لقد عرفته كل العائلة، لا يمكن أن أكون مخطئة في ذلك. إنها ملابسه ! (تونس 01)

لقد تعرفت على أخي في مقطع الفيديو أكثر من مرة. لقد رأيت أخي يجلس على الأرض ويدخن سيجارة. لقد تعرفت عليه. (تونس 09)

وقد أقنع هذا الدليل الذي لا يقبل الجدل العائلات أن أبناءهم وصلوا سالمين إلى إيطاليا، ليس هذا وحسب، بل وأن عدم تواصلهم مع عائلاتهم هو بسبب عدم قدرتهم على الاتصال بأحد لأنهم حُرموا من حريتهم.

ويظهر هذا الأمر أيضا عندما تناقش العائلات حقّها في أن تعرف الحقيقة، وهي تؤمن بأن المفقودين على قيد الحياة إلى أن يظهر دليلا عكس ذلك. ومن الملفت للنظر أيضا مقارنة ثقة العائلات التي تعرفت على أفرادها المفقودين في مقاطع الفيديو، مع الضعف المصاحب لعملية التعرف المرئي على المفقودين[13]. إن صدمة هذا الغموض، والرغبة في إيجاد دليل البقاء على قيد الحياة، تقلل من مصداقية هذا التعرف مما يؤكد أن قضية المهاجرين المفقودين في أوروبا لا تشمل الأموات فحسب، بل أيضا تشمل هؤلاء غير القادرين على التواصل مع عائلاتهم ومن بينهم الآلاف من القاصرين الذين جاؤوا بمفردهم إلى أوروبا[14].

وتؤكّد العائلات التونسية أن مفقوديهم محتجزين في السجون الايطالية، وتنتشر قصص المفقودين المعتقلين على نطاق واسع بين عائلات المهاجرين المفقودين حيث أنهم يروون هذه القصص مرارا وتكرارا في محيطهم مؤكدين على أنه لا يتم السماح للمعتقلين بالاتصال بذويهم وطلب المساعدة، وهم يتمنون أن يكون مفقوديهم في السجون، لذلك يطالبون بقوائم تحوي أسماء المعتقلين في عدة دول مثل تركيا، واليونان، ومقدونيا.

> إنهم محتجزون في أحد السجون الايطالية، هناك أشخاص لم يتصلوا بأهلهم لمدة 7 سنوات، ومن ثم ظهروا بعد ذلك. (تونس 07)

> لقد تحدثت مؤخرا مع الصليب الاحمر في دمشق واخبروني أن أخي أ. أ. موجود في سجن الجلاء في الاسماعيلية، أو في سجن العزوري في مصر... وهناك امرأة من عائلة نصر من غزة أخبرتني أن أبناءها هناك أيضا، وقالت أنه من الصعب الاتصال بمصر وخاصة فيما يتعلق بالسجن العسكري. (تركيا 09)

عائلات كثيرة تراودها أحلامٌ يظهر فيها المفقودون- وهي استجابة شائعة لحالة الصدمة- وفسرت إحدى الأمهات التونسية الحلم الذي رأته كدليل على ما حدث لابنها:

> أنا أعلم أن ابني في السجن، لقد رأيت ابني محاطا بحراس يرتدون ملابس سوداء (بكاء). إنني أراه ليلا ، ويقول لي: أمي أنا قادم! (تونس 23)

وأحد مظاهر حالة اليأس التي تصيب العائلات هي لجوء عدد كبير منهم إلى العرافين والوسطاء بحثاً عن معلومات حول المفقود، وفي معظم الحالات تسعد العائلات بسماع ما تودّ أن تسمعه وهو بأنّ أبناءهم على قيد الحياة:

> نعم، لقد جربنا العرافين، ولم نترك شيئا لم نجربه. لقد قالوا لنا أنهم على قيد الحياة. لقد ذهبنا إلى عرافين وقالوا لنا أنهم في مكان كبير وأكدوا لنا أنهم على قيد الحياة. (تركيا 10)

الاعتقاد أن المفقود ميت:

من النادر أن تفكر العائلات في تونس التي تملك معلومات قليلة عن ظاهرة موت المهاجرين، بأنّ أحباءهم قد فارقوا الحياة. ولكن، وعلى سبيل المقارنة مع هؤلاء الذين تخبرهم "قلوبهم" بأن أبناءهن على قيد الحياة، أخبرتنا امرأة عمّا تلقته كتأكيد حقيقي على موت ابنها:

> لقد غرقوا، ابني ميت. كل ما حدث يخبرني أن ابني قد مات. [...] أخبرتك، في اليوم الذي غرقوا فيه، لقد كنت في المشفى وكنت أعاني من ارتفاع الحرارة و مشاعر غريبة. لقد شعرت بأن شيئاً أصاب ابني (بكاء). لم يعرف الأطباء ما الذي كنت أعانيه. لقد كان جسمي بكامله يرتجف. لقد كان ذلك بشعا . (تونس 24)

بينما نجد أن العائلات في سوريا والعراق كانت مستعدة لتقبل فكرة غرق المفقود، وذلك لأنهم كانوا حاضرين في حادثة الغرق، أو تمكنوا من الوصول إلى معلومات من شهود العيان.

> منذ اليوم الذي خرجنا فيه من البحر، انتقلت إلى ربها. وأنا مقتنع أنها مع ربها الآن ، حيث أن لا أحد كان لديه وقت لأي شيء آخر أو للاعتناء بها. (تركيا 23)

إلا أننا نجد فرقاً واضحاً في الأفكار الموجودة عند هؤلاء الذين حضروا حادثة الغرق، أو سافروا إلى أوروبا بحثا عن المعلومات، وبين هؤلاء الذين ينتظرون في بلادهم.

---

[13] ICRC (2009) Management of Dead Bodies after Disasters: A Field Manual for First Responders, Geneva: ICRC.

[14] لقد تلقى الصليب الأحمر الألماني على سبيل المثال 3,100 طلب تتبع في 2015 والنصف الأول من 2016، من مهاجرين موجودين في ألمانيا ، أو باحتمال أن يكون المفقود في ألمانيا. (الصليب الأحمر الألماني، تواصل شخصي).

أنا لا أستطيع أن أقول هذا لهم، فأنا لم أر شيئاً بعيني. وأنا لست متأكدا 100% ممّا حدث. أنا اتكلم مع عائلتي وأمنحهم الأمل، ولكن في الواقع أنا لا أرى أي أمل... عندما اتصلت بي في المرة الماضية كانت زوجتي في المنزل، ولم أكن أستطيع أن أتكلم معك وقتها كما أنا أتكلم الآن، فحتى زوجتي لا تعلم اي معلومة أو رأي الشخصي بأنهم غرقوا في البحر. أنا أقول هذا لأنني بمفردي وزوجتي ليست في المنزل. وإلا لما كنت أستطيع أن أقول هذا. في الواقع أنا لم أر شيئا ، ولكن أعتقد أنهم غرقوا. (تركيا 13)

إن قلبي يعطيني بعض الأمل ، ولكن- إذا وضعنا المشاعر جانبا- عقلي يقول أنه ميت [...] عندما كنت في اليونان، كنت أتامل رؤيته فاقد للذاكرة وقد تم إنقاذه، كنت أتمنى رؤيته وهو محكوم 10 سنوات في السجن، وليخرج بعد ذلك حرا طليقا. إن هذا كان ليسعدني. ولكن في الواقع أملي ضعيف جدا... إن التفكير بهذا الشكل هو تفكير منطقي، وخاصة أننا في القرن 21 ومع كل هذا التطور ووسائل الاتصال وشبكات التواصل الاجتماعي، فإن معلومات مثل هذه تنتشر بسرعة، ولهذا السبب فإن أملي ضعيف جدا. [...] إنّ عائلته تمتلك أملاً كبيراً أنه لا زال على قيد الحياة، وخاصة والدته. لا أحد يجرؤ على إخبارها بتفاصيل الرحلة، وعدد الجثث الكبير، وأن العديد قد مات يومها !. إنها لا تزال تعتقد أنّ شخصا ما قد مات ولكن ليس ابنها. (تركيا 07)

وهنا يظهر أنه حتى في العائلة الواحدة قد نجد تصورات مختلفة لما حدث. أي أن القدرة على تصور مصير المفقود تخلق توترا في العائلات.

إحتياجات العائلات

تقترح التأثيرات المذكورة أعلاه أنواعا كثيرة من الدعم اللازم للعائلات، ومن بينها الدعم النفسي الاجتماعي. وكما ذكرت العائلات بوضوح حاجات أخرى نابعة ممّا تعرضوا له تبعاً لوجود مفقود في العائلة كما هو موضح هنا.

من الجدير بالذكر أن احتياجات العائلات تعتمد بشكل كبير على وضعهم، فهناك فرق كبير بين وضع عائلات المهاجرين في تونس، والتي قد تعاني من الفقر، ولكنها آمنة في بلادها، وبين أولئك الذين يعيشون تحت الخطر يومياً في سوريا مثلا، أو من هرب من العنف ويعيش الآن كلاجئ في إحدى الدول. في سياقات أخرى مثل ارتيريا ، تتعرض العائلات التي بقيت في البلاد للخطر بمجرد هجرة أحد افراد العائلة، وعند السعي لتوسيع نتائج البحث يجب مراعاة هذه القيود والاختلافات في احتياجات العائلات الناتجة عن الشريحة التي تم دراستها.

الحاجة لإجابة

تمثل الحاجة لإيجاد معلومة عن المفقود الأولوية العظمى لجميع العائلات التي تمت مقابلتها، وهي الطريق لمعالجة المشكلة، وبالطبع فإنّ هذه العائلات تريد أن تعرف الحقيقة. هل المفقود حيٌّ، أم فارق الحياة:

أخبرونا إن كانوا أحياء او أموات [...] إن أقل ما يمكن القيام به هو إجابتنا ، تخيلوا ما هو شعورنا، فقط أخبرونا إن كانوا مسجونين أو فارقوا الحياة. فقط حاولوا أن تشعروا بما نمرّ به [...]. لم يساعدني أحد بأي شيء. أنا أريد أن أصل إلى حل. إنه من حقي أن أعرف إن كان قد فارق الحياة – لا سمح الله- من حقي أن أحصل على شهادة وفاة. من حقي أن أحصل على أوراق وصاية قانونية على أولادي. إن كان على قيد الحياة، أريد أن أعرف مكانه، وما الذي يحتاجه، أريد أن أساعده. (تركيا 21)

أن أعرف أين هم. إن كانوا أحياء أو أموات. أنا باق هنا فقط من أجل هذا، ومن الضروري أن أعرف. إننا مسلمون ونريد أن نقرأ القرآن على موتانا، وإن كانوا أحياء أريد أن أعرف مكانهم. (تركيا 31)

أريد أن أعرف الحقيقة حول مصير ابني . هذا كل شي (تونس 04)

ونرى ضمن الإجابة وبكل وضوح أنّ العائلات تطلب تفسيراً لما حدث، فالمعلومات ليس فقط حول مصير المفقود، بل أيضا معلومات تفسر وتوضح كيف ولماذا لاقى المفقود هذا المصير، وهذا يرتبط بالحاجة لإعطاء معنىً لموقفهم:

أريد معرفة الحقيقة عن ابني. كيف مات؟ هل قُتل ؟ هل غرق في البحر؟ أريد أن أعرف ! (تونس 24)

أريد ابني حتى وإن كان ميتاً. ولكنني لن أقبل بمجرد قبر، أريد صورة له عندما وجدوه ميتاً، وملابسه، ودليل على غرقه، كل شيء! [...] ونريد أن يخبروننا إن كانوا على قيد الحياة [...]. إن كان ميتاً، فأنا أعلم أن الخبراء يلتقطون صورا للجثث التي يجدونها. أريد هذا الدليل (تونس 25)

إن كان المفقود على قيد الحياة، تطلب العائلة معرفة مكانه، وإن كان ميتا فهي تريد الجثة لكي تعلن الحداد عليه:

أريد أن أجد ابني، ان هذا كل ما أطلبه... (بكاء) على قيد الحياة أو ميت، إن كان موجودا في ايطاليا، أعطوه طريقة ليتواصل معي، وإن كان ميتا، فعليهم أن يعلنوا هذا رسمياً [...] يجب أن يخبروننا أين أبناؤنا. إن الحقيقة تريحنا. أريد ابني حياً أو ميتاً. إن كان حياً يجب أن يقولوا في أي مكان ، وإن كان ميتاً، بإمكاننا أن نحزن عليه ، وأن ندفنه، فإنّ هذه إرادة الله. (تونس 11)

استخراج الجثث ودفنها

في بعض الحالات التي تعتقد العائلات فيها أنّ أقاربهم المفقودين على قيد الحياة، لا يمكننا مناقشة موضوع الجثث معهم، ولكن في كثير من الحالات التي تعترف فيها العائلات أنّ قلة المعلومات قد تشير إلى احتمال الوفاة، كانوا مستعدين لمناقشة الحاجة لاستخراج جثث المفقودين فالجثة هي دليل على الوفاة للعائلة:

نعم إن الجثث مهمة لتحديد الموقف... لا يمكننا أن نقلق عليهم إلى الأبد، والناس تنشر الشائعات، أي معلومة مؤكدة ضرورية جداً لنا. (تركيا 20)

لا يمكنني تصديق خبر وفاته دون أن أرى الجثة ! إن الجثث تبقى لسنوات، وهناك من يحفر القبور ويخرج العظام. أنا أريد أي دليل (تونس 20)

إن الحصول على الجثة يمنح العائلات الفرصة لإكرام الميت، ودفنه في مكان قريب ليصبحوا جزء من العائلة والمجتمع من أجل احترام العادات:

نريد أن نراه وأن نكرمه إن كان ميتاً... بالتأكيد الجثة تعني لنا الكثير. (تركيا 10)

إن كان ابني ميتاً، أريد أن أدفنه هنا على الأقل، و سأكون مرتاحاً وسوف أجد مكان لأصلي عليه حتى وإن كان عظاماً، أريد أن أدفنه. إن المقبرة أمام منزلي، إنني أستيقظ أمامها كل يوم. أقرا سورة الفاتحة . إنني اقوم بهذا يوميا. ولا يوجد لدي أي كره تجاه الموت. على الأقل لقد عاد إليّ. سوف أنظر من النافذة لأرى قبره وسأقول إنه هنا. (تونس 16)

إنّ الدفن بشكل تقليدي لشخص مقرب من العائلة يكون مريحاً :

أريد أن يحضروا ابني لي إن كان ميتا، سأقوم بدفنه أمامي وسأرتاح من العذاب... ولكن لا يوجد هناك أي شيء. بالطبع (استرجاع جثته) ضروري جداً بالنسبة لي. سوف أرتاح. سوف أدفنه بجانب قبر أمي وأخي . وسوف أرتاح. (تونس 18)

بالطبع إنّ دفنه هنا على أرضه ضروري جداً. عندها سوف تذهب أمه إلى المقبرة وتقرأ الفاتحة وسوف تجد بعد ذلك السلام. لهذا السبب هو أمر ضروري. ثانياً، إن كانوا أموات، وتم دفنهم هناك، نريد استرجاع جثثهم (تونس 20)

يعتقد البعض أنهم قادرون على تمييز جثث أحبائهم، بينما هناك من ترتابهم الشكوك حول تأكيد هوية الجثة، وخاصة عند وجود تفهم ضعيف لتقنيات الحمض النووري في التعرّف على الجثث.

من الضروري أن أحصل على جثة ابني وأن أدفنها هنا في تونس. أنا الوحيدة القادرة على التعرف عليه دون خطأ. أنا الوحيدة التي تعرفه جيداً. حتى عموده الفقري... أنا أعرف كيف يمكنني أن أتعرف على ابني (تونس 25)

إن كل ما أتمناه هو الحصول على جثة ابني... (صمت) وإن لم يحضروا لي جثته فأنا أقول أن الأرواح تبقى هائمة. الجثة ليست ضرورية، فمن القادر أن يثبت أنها جثة ابني بعد أن يتم دفنها . .. لأننا غير متأكدين من أي شي.. كما ترى! (تونس 24)

في بعض الحالات، هناك فهم متوسط للعوامل التقنية في التعرف على الجثة:

إن أول شيء هو أن أعرف إن كان أخي ميت 100% وبما أنني لم أر الجثة، فأنا لا زلت أثق بالله وأتأمل أنه على قيد الحياة. وأنا أعلم أنهم يقومون بتحليل الحمض النووي في إيطاليا قبل دفن الجثث، فإذا وصلت إلى نهاية المطاف، سوف أقوم بتحليل الحمض النووي وأرسله عن طريق وزارة الخارجية. [...]. المهم أن نعرف . وإن كان في مكان آخر غير مصر، سوف أذهب وأقوم بإجراء التحاليل على بقايا جثته لأتاكد من صحة ما قيل لي. (تركيا 25)

إن استخراج الجثث من القبور قضية شائكة في العقيدة الإسلامية. فلم يقل أي شخص من الذين تمت إجراء المقابلة معهم أنهم يتمنون ألا يتم إخراج الجثث وإرسالها إلى الوطن الام.

كان هناك بعض المخاوف لدى العائلات تجاه الطريقة التي تم التعامل بها مع الجثث في أوروبا، وخاصة فيما يتعلق بالتشريح. وهو عادة يستخدم لتأكيد سبب الوفاة، وإن كان واضحا في أغلب الحالات.

في البداية لقد عارضت تشريح الجثث، لأنّ سبب الوفاة واضح، وهناك أحد الأقارب الذي يطالب بالحصول على الجثث. لقد كانوا وكأنهم يريدون أن يشغلوني. لقد علمت أنه تم تشريح الجثث قبل وصولي بقليل. كان علي القيام بأي شيء لمنع تشريح الجثث. (تركيا 01).

كما كان هناك شكوك حول التعامل مع الجثث، تتضمن المخاوف من أن يكون التشريح في تركيا مجرد تمويه لتجارة الأعضاء، وأعربت إحدى النساء السوريات التي تعيش في مصر، عن مخاوف عديدة تتعلق بتدنيس الجثث في أوروبا :

إن لم يقوموا بجمع الجثث والتواصل مع البلدية، أو المحافظ، أو المسؤولين، فإن الجثث سوف تحترق أو يتم رميها في البحر. وأنا لن أسمح بحدوث هذا لجثة زوجي وإن اضطررت أن أحمل جثته من اليونان إلى الدنمارك سيرا على الأقدام. [...] لأسباب دينية. في حال وفاة الشخص، يجب أن يتم دفنه على الطريقة الاسلامية ، هذا ما أقبله. (تركيا 10)

باختصار، فإنّ جميع العائلات التي تمت مقابلتها تسعى إلى استخراج الجثث للتعرف عليها وإرسالها إلى الوطن الأم، ولم تصل أية آراء حول تفاصيل متعلقة بتوقيت الدفن في أوروبا، حيث يبدو أن العائلات لم تفكر في الطريقة التي يتم التعامل فيها مع الجثث، ولا حتى عدد قليل من العائلات، حيث أنّ معظمهم يرفض مواجهة احتمال الوفاة. ولم يكن هناك أي طلب لحصول الدفن بإجراءات سريعة أو الاحتفاظ لمدة طويلة في المشرحة، إن ما تتضمنه احتياجات العائلات حول الجثث هي زيادة احتمال التعرّف على الجثة واحتمال إعادتها إلى الوطن. أي يجب أن يتم جمع كل البيانات (ما قبل الوفاة وما بعد الوفاة) وإدارتها بشكل يساعد على تحقيق هذا. وبما أنّ التشريح هو ممارسة شائعة ومطبّقة على جثث المهاجرين، وعلى جميع حالات الموت غير الطبيعية، فإنّ العائلات ترفض هذا التطبيق، ويبقى سبب القيام بالتشريح غير معروف بالنسبة لهم – على اعتبار أن سبب الوفاة واضح.

سبل العيش:

إن أحد العوامل الأساسية والتي عادة ما تكون مُغفَلة للتأثير الناتج عن وجود شخص مفقود في العائلة هو تأثيره على الرزق والأحوال المعيشية. حيث أنّ المهاجرين من تونس أغلبهم من الشباب الذكور من عائلات فقيرة، وبالتالي فهم يتركون وراءهم عائلات تعاني في طلب الرزق. وقد أكد أحد أفراد عائلات المفقودين على الأثر الاقتصادي لفقدان فرد من العائلة:

أنا لا يوجد لدي دخل ولا دفتر للرعاية الصحية. لقد تقدمت بطلب عدة مرات للحصول على بدل، ولكن دون نفع، كان ابني المفقود يعمل في تونس ويرسل لي النقود لمساعدتي. إنني أمتلك قطيعا، وأقوم كل مرة ببيع خروف أو عنزة. ابني الآخر يعمل في الجيش، ويزورني مرة في الشهر، ويساعدني على قدر استطاعته. (تونس 10)

إن البحث عن المفقود والقيام بزيارات إلى تونس العاصمة أمر مكلف أيضاً ويستنزف موارد العائلة:

إنني متقاعد. وأنا أحصل على الراتب التقاعدي، لقد بعت القطيع الذي أملكه لأدفع تكاليف سفري إلى تونس العاصمة مع باقي العائلات. أنا أذهب إلى تونس مرتين في الشهر بكلفة 100 دينار شهريا لكل رحلة. هل تستطيع أن تتخيل من أين أصرف؟ وكل هذا بلا أي نتيجة [...]. لقد عمل كثيرا وساعدني. وأنا الآن أوفر كل احتياجات عائلتي بمفردي، وحتى الحكومة لم تقدم لنا أي مساعدة عينية ولا تريد القيام بهذا. (تونس 14)

والنتيجة أن العائلات تسعى للحصول على دعم من السلطات:

لقد طلبنا من الحكومة تقديم الدعم وأن تقدم لنا بعض المساعدة. إن المساعدات المالية لا تشمل عائلات المفقودين، فعادة ما تكون هذه العائلات في أشد الحاجة حيث كان الزوج أو الابن المفقود يعمل ويساعد العائلة، فمن أين تستطيع الأم تقديم احتياجات باقي أفراد العائلة ؟ هل عليها أن تتسول النقود في الشارع؟ (تونس 17)

بين العائلات في الشرق الأوسط والتي شهدت هجرة الناس من كل الأعمار، كان التأثير الاقتصادي يشمل خسارة الراتب التقاعدي والذي كان مصدر مهم مساهم في دخل العائلة:

لقد كنا نعيش على راتب والدي التقاعدي. [...] . نعم (راتبه التقاعدي) توقف. نحن لا نعرف ماذا يجب أن نفعل، أو إن كان أبي ميت أو على قيد الحياة. [...]. لقد كان الراتب التقاعدي باسم والدي، وبالتالي لا يمكننا أن نستلمه حيث أننا لا نعرف إن كان ميتاً أو على قيد الحياة. (تركيا 02)

وذكرت العائلات السورية والعراقية المصاعب الاقتصادية التي يعاني منها اللاجؤون في بلد غريب، وهم يحاولون تقديم العون لعائلاتهم.

التأثير الواقع على العائلات التي يوجد فيها مفقود

نحن نعيش في غموض، لقد توفي والديّ ولكنني نسيت هذا الأمر، ولكن رحيل ابني لا يمكن نسيانه. أنا لا يمكنني تجاوز الموضوع. .. (تونس 21)

إن الاقتباس السابق يعرض باختصار الفرق بين موت شخص ما وبين الاختفاء. إنّ الموت الذي يتم الحداد عليه هو مأساة، ولكنها مأساة يمكن استيعابها على الصعيد الشخصي والاجتماعي. فمراسم الدفن التي تلي الوفاة تعطي تفسيراً للموضوع، وتجعل رحيل الشخص رحيلاً رسمياً. وتخلق مساحة للحداد تسمح لاستيعاب الموقف الجديد ولتفهم ألم العائلة بشكل تشاركي، وكذلك يجب أن نجد معنى للاختفاء، وخاصة أنه شيء لا يمكن فهمه في ضوء الحياة اليومية، كما نستطيع أن نرى من خلال عبارات الذين أجريت المقابلات معهم، فإنّ صدمة الفقدان الغامض تخلق تحدياً أمام العائلات خاصة أنّهم عاجزون عن فهم هذا الموقف الذي يتصف بالشك. إنّ للاختفاء صفة مزمنة لها نتائج عاطفية، ونفسية، واقتصادية واجتماعية[15]. فإن خلاصة التأثير على العائلات والأفراد من أهالي المفقودين هو نتاج كل هذه العواقب، بالخضوع لموارد الأفراد والمجتمعات.

لقد تم بذل الجهود في المقابلات شبه المنظّمة لدراسة المدى الذي يتركه التوتر الناتج عن الاختفاء، والتأقلم مع التحديات النابعة عنه على هذه العائلات. وقد ركّزت الجهود على فهم التأثير النفسي (التفكير، المشاعر، والسلوك) والجسدي والمادي (الاقتصادي) لوجود قريب مفقود. وتمّت صياغة الإجابات عن هذه الأسئلة ضمن بيئة ثقافية تتمتع بالقيم المحلية للشخص الذي يتم إجراء المقابلة معه. وعادة ما تعطي معلومات متعلقة بالخصوصيات الثقافية لهذا التأثير.

وتتم عادة رؤية عائلات المفقودين كأشخاص يعانون من ضائقة نفسية طبيعية إثر أحداث مؤسفة جسيمة، بدلاً من مرض نفسي، ومن الضروري أيضا الإشارة إلى أنّ جميع العائلات والمجتمعات تمتلك مواد لمواجهة بعض هذه الاحتياجات، وتم التركيز لتحديد آليات التأقلم الإيجابية المهمة لتوفير الدعم العاطفي.

التاثير النفسي والعاطفي

أظهرت عائلات المفقودين مجموعة من الأعراض المصاحبة لكل من تأثير الصدمة والفقدان الغامض.، من بينها، الحزن، واضطرابات النوم، ورؤية المفقود في المنام، والقلق، واليقظة المفرطة. إنّ أحد أهم التأثيرات التي ذكرت نتيجة لفقدان أحد الأقارب هو غيابه الحاضر في حياتهم، وقد ذكرت العائلات أنها دائمة التفكير بالشخص المفقود، بشكل يجعلهم لا شعوريا يغرقون في اختفاء أحبائهم.

(أمي) تستيقظ كل يوم وتسأل عنهم. على سبيل المثال، أنت اتصلت للسؤال عنهم الآن، ولقد استعدت فهي تعتقد أن لديكم معلومات عنهم. .. إنها متعلقة برنين الهاتف.. إنها مكتئبة ولديها مشاكل قلبية ومشاكل في ضغط الدم والتي تزداد سوءاً يوماً بعد يوم... (تركيا 09)

كيف تتخيل مشاعر أم فقدت ابنها ؟ ما أشعر به هو أكثر من الحزن بكثير، إنه جرح لن يشفى. عندما أرى أصدقاءه، ملابسه، أخاه، فإنني أتذكره (بكاء). كيف لي أن أنسى؟ إنني أتجنب رؤية الخزانة التي تحتوي على ملابسه، إنني أخشى أن أشم رائحته أوأن أتذكر كم اشتاقه وأشعر بالضعف. .. (بكاء) عندما أكون وحيدة في المنزل، أبدأ بالدوران في المنزل وأصرخ باسمه (بكاء) كأنه هناك وأناديه .. (تونس 34)

إنّ اضطراب القلق هذا كان أحد أشد الأعراض ظهوراً، بالاضافة إلى التعبير عن الألم الحاد. فيبدو أن هذا القلق وانتشاره يسمح لنا بالتفريق بين ما تعاني منه أغلب العائلات وبين اضطراب ما بعد الصدمة، حيث أن اضطراب ما بعد الصدمة مرتبط بحادثة مأساوية معينة، فإن القلق الذي تعبر عنه العائلات يرتبط بالشخص المفقود، بدلا من حادثة اختفائه، إنها ترتبط بموقف

[15] Blaauw, Margriet and Lahteenmaki, Virpi (2002) 'Denial and silence' or 'acknowledgement and disclosure'. Int. Rev. of the Red Cross, 84:848.

مستمر دون نهاية[16]. ولكن يتضح لنا أنه بالنسبة لهؤلاء الذين شهدوا حادثة الغرق و\ او فقدان احبائهم الذين رافقوهم في الرحلة، فإنّ اضطراب ما بعد الصدمة هو تأثير محتمل.

في بعض الحالات فان هذا القلق المرتبط بالشخص المفقود يصبح هوسياً :

هو عادة ما يشعر بالوحدة، وعندما يكون المنزل فارغاً ، يبدأ بمناداة اسم ابننا المفقود... لحسن الحظ ، أنه لا زال يعمل ! إن زملاءه لطيفين جداً: لقد أهدوه لوحة عليها صورة ابنه وفي الخلفية صورة مكة. [...] إنه يتكلم مع هذه الصورة كل الوقت. يمكنني أن أقول لك أن زوجي على حافة الجنون. إنني أسمعه في بعض الأحيان يتكلم مع ابننا المفقود ويقول له:" تعال يا ولدي ، عد إلى المنزل، لقد تأخرت كثيرا" (تونس 05)

وفي حالات قصوى، فإنّ هذا يتحول إلى شكل من أشكال إهمال كل جوانب الحياة، والغرق في الشخص المفقود:

لا أريد أن آكل، لا أريد أن أرتدي ملابسي، ولا أريد أن أخرج أبداً. (تونس 18)

ويمكن رؤية هذا عن طريق بذل جهود إضافية لتجعل من هذا الشخص المفقود جزءاً من العائلة :

لم يعد للاحتفال أي طعم، لا رمضان ولا العيد. إنني أضع القدر على الفرن لتجهيز شيء للأكل، ثم أبدأ بالبكاء. وحتى عند تجهيز الطاولة، فأنا أضع طبقا وكأسا لابني المفقود. إنني أحتفظ بملابسه على حالهم، كما لو أنه موجود هنا. (تونس 16)

إن من بين المواضيع الشائعة بين العائلات هي اضطرابات النوم والأرق:

لم يعد بوسعي النوم مجدداً. أنا دائماً في توتر، ولم أعد أحتمل بناتي أو بنات أخي على الإطلاق. .. أفضل البقاء بمفردي. ولقد نصحني الطبيب بالخروج للحصول على بعض الهواء النقي وألا اعزل نفسي في منزلي. .. (بكاء) إنني أتكلم مع نفسي دائماً ولا أعرف النوم على الإطلاق... لقد ذهبت إلى الطبيب، و طلبت منه أقراص للنوم. عندما أتناول هذه الحبوب المضادة للأرق، فإنني أفقد إحساسي بالاتجاهات، وأستيقظ صباحاً لا أعرف منزلي ولا أعرف الطريق خارجه. (تونس 18)

إنني أعاني من اضطراب في نومي. أستيقظ عدة مرات في الليل، وأرى ابني أمامي، لقد أصبحت قلقة وخائفة من قدوم أي خبر عن وفاته، إنني أخاف هذا ولكنني أتقبله. إنني محطمة (بكاء). (تونس 36)

والعديد من العائلات أجابت بالإيجاب عندما تم سؤالهم عن أحلامهم بالشخص المفقود، ممّا يعكس ما لديهم من هوس أثناء اليقظة

نعم، أول شيء هو الأرق والخوف من أن يتهجم علينا أحد ما. وعدا عن ذلك فأنا أرى زوجي دائما في نومي، أشعر به يناديني، أو غير قادر على الكلام معي، إنني أعرف زوجي وأراه في وضع غريب في المنام، ومن ثم أستيقظ ولا أستطيع النوم مجدداً. أنام لمدة ساعة أو ساعة ونصف ومن ثم أبقى مستيقظة كل الليل وأنا أبكي أو أشعر بالملل ولا أعرف ما أفعل، وخاصة عندما تصلني أخبار بأنه على قيد الحياة. (تركيا 21)

إن أحد أهم الظواهر المرتبطة بكل من اضطراب ما بعد الصدمة والفقدان الغامض هي اليقظة المفرطة والحساسية العالية تجاه أي محفز خارجي:

لقد أصبحت حساسة جداً وغير قادرة على تحمل أي ضجيج، إنني أقفز من أي شيء .. لقد أصبحت شديدة الحساسية، هل ترى؟ (تونس 25)

بينما تتكلم بعض العائلات عن شعور بالركود، أي الشعور بأنّ الحياة توقفت أو تعلقت بشكل أو بآخر بالشك الناتج عن وجود مفقود:

إلى اليوم وأنا أشعر أنّ العالم توقف. لا شيء يتحرك. لا أشعر بأنّ أي شيء يتحرك في هذه الحياة. منذ رحيل ابني، لقد تجمّد كل شيء، الهواء والشمس، والرياح والمطر والليل والنهار. .. كل شيء توقف إلى الآن منذ يوم رحيله وأنا لازلت أنتظر اتصال هاتفي منه. أنا دائماً عالقة في 6 سبتمبر 2012، لا شيء تغيّر منذ ذلك الوقت. (تونس 05)

منذ غادر أخي ونحن لم يعد لدينا حياة ! والله كل شي توقف، والسلطات لا تريد أن تساعدنا لكي نجد بعض السلام.. (تونس 08)

أنا لم أعد أعيش. أشعر أن حياتي تجمدت فجأة . (تونس 33)

إن المشاكل المتعلقة بالذاكرة توضح أنه لصدمة الفقدان التي تعرضت لها العائلات تأثير على القيام الوظائف:

[16] Boss, Pauline (2006) Loss, trauma and resilience: Therapeutic work with ambiguous loss. New York: Norton.

منذ رحيل ابني وأنا أعاني من مشاكل كثيرة في الذاكرة، وعادة ما أنسى أين وضعت الأشياء، وغير قادرة على الاعتناء بمظهري، أو التنظيف، أو الطبخ. [...] عقلي لا يعمل بشكل جيد. لديّ الكثير من الأفكار السوداء، وأنا أسرح بلا نهاية.

وقد ذكر عدد كبير من الذين أجريت معهم المقابلات وجود مشاكل نفسية تتعدى الضوائق النفسية، ويبدو أنها تتطلب تدخل الخبراء وتفرض خطراً على وظائف الفرد. وفي أغلب الحالات، كان هذا واضحاً لأنّ الفرد قام باستشارة طبيب نفسي :

إنني أذهب إلى مشفى نفسي [...] منذ 2011. أنا لا أنام مطلقاً، وأزور الطبيب بشكل دائم. لقد وضعوني في المشفى النفسي. أنا لا أنام على الإطلاق. ولديّ أفكار سوداوية وهلوسات. إنها كالأزمة أبدأ بالدوران في المنزل وأحيانا أضرب المفروشات. ولدي نوم متقطع. أستيقظ عادة في 3 صباحاً. هناك صوت في رأسي يخبرني أحياناً أنّ ابني ميت. وأحياناً أقول لنفسي إنه على قيد الحياة. إنني مصدومة. إنني عادة ما أسرح وأشعر بالخوف عندما أكون بمفردي. إنّ الأدوية الموصوفة لي قوية جداً. ولا أستطيع أن استيقظ بعدها. إنني متعبة جدا من كل هذا كما ترى. (تونس 02)

إن هذا قد يكون موهناً جداً، كما أنه يساعد على زيادة المشاكل كعزلة النفس والوصمة الاجتماعية لعائلات المفقودين. قد يصل الحزن الشائع لدى العائلات لحالات شديدة:

إنني أبكي كلّ الوقت.. كل حياتي اختلفت رأساً على عقب! إنني أشعر أنني مضطهدة، كل نظرة تجاهي تذكّرني بألمي لأن ابني مفقود (بكاء). إنني لا أنام ليلاً على الإطلاق. وأرى ابني في كل مكان. إنني أفكر وأقول لنفسي إن ابني قد يكون جائعاً، أو يشعر بالعطش أو البرد[...] . لقد انقلبت حياتي بأكملها. لقد أصبحت جسدا بلا روح. (تونس 23)

لقد أقدم 3 من أمهات المفقودين في تونس على محاولة الانتحار[17].

ولقد عانى الكثير من أهالي المفقودين من الأبناء والبنات من مشاكل صحية خطيرة، وهو أمر غير مستغرب كنتيجة للضغط الذي تعانيه العائلات.

بالنسبة لعائلته، فإنّ والده يذهب إلى المشفى بشكل دائم وعانى من جلطة قلبية ولكنه نجا منها، ومن ثم عانى منها مرة أخرى، وكانت خفيفة، وهي نتيجة للتفكير الدائم بالمفقود، ولكنه كان غير قادر على القيام بأي شيء. أما أمه فكنّا نحاول أن نصبرها ونمنحها الأمل ونقول لها أنّ هناك هيئات تبحث عنه وذلك لنحافظ على صحتها. ولكنّ زوجتي كانت غير قادرة على التأقلم مع هذا الوضع وتمضي كل اليوم وهي شاردة بعيداً، وهذا الحادث ترك تأثيرا على نفسيتها. (تركيا 26)

كان لفترة الانتظار هذه العديد من السلبيات علينا، وعلى المنزل، كما أثرت على صحة والدي، وكلما مر وقت أكثر كلما ازداد الأمر صعوبة على والدي وفقد صبره ولم يعد يتكلم. لقد أصابته جلطة خفيفة في المرة الأولى، ثم في المرة الثانية والثالثة اضطر إلى إجراء قسطرة قلبية ووضعوا له شبكة في القلب. كانت أيام صعبة [...]. ثم بعد شهر وصلتني أخبار من دمشق . لقد سمعت أنّ والدي فارق الحياة . (تركيا 28)

إن أحد المفاهيم المفيدة في فهم التأثير النفسي الاجتماعي بشكل عام هو "هرم التدخل" (*لازك*،2007). في قمة الهرم يوجد مجموعة صغيرة من الناس الذين تأثروا بشكل كبير وبحاجة للخدمة المختصة، وفي أسفل الهرم يوجد الأشخاص الذين يكفيهم إعادة إيجاد الأمن والوصول إلى الاحتياجات الرئيسية، وفي المنتصف يقع الغالبية الذين يحتاجون دعماً من المجتمع والآخرين، لضمان عدم تأثرهم بشكل خطير.

التأثير في العائلة

إنّ المعنى الذي يمكن أن نفسر من خلاله اختفاء أحد أفراد العائلة هو معنى مبني اجتماعياً، ينبع من الطريقة التي تفهم من خلالها العائلة والمجتمع كلاً من الاختفاء أو أي معلومة تليه، وبالتالي فإنّ التأثير الناتج عن الفقدان الغامض هو أيضا تفسير تتمّ صياغته في البيئة المحيطة أيضاً. إنّ العائلة هي الخلية الأكثر وضوحاً الواقعة تحت التأثير، وهي قد تكون مصدراً عظيماً للدعم، ولكن قد تكون مصدراً للتوتر الشديد في المقابل.

أنا لا زلت أعيش وكأنه 6 أيلول 2012. في عائلتي لم يعد شيء كالسابق، ويعيش كل فرد بمعزل وبمفرده. زوجي في الغرفة، وأنا في غرفة أخرى، وأصغر أبنائي، لو تراه فلقد انقلب حاله منذ رحيل أخيه. فهو يبكي كل الوقت الآن, وأنا أشعر بالقلق المستمر عليه. إنه في العشرين من عمره، وأنا أشعر أنه يبحث عن أخيه في العلاقات التي يتبخط

[17] http://nawaat.org/portail/2012/07/24/the-case-of-the-missing-tunisian-migrants-from-one-shore-to-another-lives-which-matter/

فيها. فهو يعرّفني على صديق جديد في كل يوم، ثم يختار صديقا آخر في اليوم التالي. إنه يبحث فيهم عن أخيه ! (تونس 05)

إنّ التأثير على الأفراد، وخاصة أمهات المفقودين واللواتي بدأن بإهمال أدوارهن التقليدية في المنزل قد يؤدي إلى عزلة أفراد العائلة عنهن، وفي بعض الأحيان قد يؤدي إلى الطلاق.

لقد رأيت أسوأ لحظات حياتي. لم أعد أطبخ على الإطلاق، لقد هجرت كل شيء في منزلي، لقد هجرت نفسي، وهذا أدى إلى الكثير من الصراعات بيني وبين زوجي الذي يعتبرني بلا نفع ! لذلك رحل زوجي، وأنا لم أعد أستطيع أن أعيش في المنزل بعد الآن، إنه منزل مهجور، هجره أبنائي المفقودين وزوجي. (تونس 17)

إنّ العائلة كلها تتجنب ذكر ابننا المفقود، وحتى الشجارات بيني وبين زوجتي ازدادت كثيراً، فنحن نعيش في توتر دائم والتواصل بيننا معدوم، وزوجتي مريضة أكثر مني، و تبكي كل الوقت . (تونس 33)

لا تستمعوا لها، لقد فقدت عقلها منذ اختفاء ابنها. كما قلت لك، إن أطفالنا قد رحلوا وهم الآن في ايطاليا. (تونس 11)

ويجد الوالدان صعوبة في شرح ما تعرض له الأخوة المفقودين ، أو الآباء المفقودين للأطفال.

أطفاله ...(بكاء) عندما يسألونني : أين بابا؟ ماذا يجب أن أجيبهم؟ [...] إنني أحاول أن أشرح لهم بعض الشيء أنه في إيطاليا و أنه سوف يعود، ولكنهم يعلمون أن أباهم قد رحل. ولكنني أحاول أن أجعلهم ينتظرون. أنا لا أجد كلمات أقولها لهم... فأنا لم أعد أسمع عنه. إن قلت لهم أنه ميت، فإن أطفالي سوف يعرفون ما هو الموت وأنه أمر حتمي ، واننا جميعا سوف نموت. وإن قلت لهم أن أباهم على قيد الحياة في مكان ما وأننا ننتظر اتصاله، فأنا لا أملك الدليل، ولا أود أن أجرحهم بهذا الكلام. (تونس 12)

التأثير الاجتماعي

إن إحدى الاستجابات من أفراد العائلة التي واجهت العداوات من باقي أفراد العائلة والمجتمع كانت الانسحاب والعزلة:

أنا لا أريد القيام بأي شيء، وأنا أعزل نفسي عن باقي العالم. وأفضل أن أكون بمفردي في المنزل وألا أرى أحدا. أنا أبكي دائما... [...] أنا أقسم أنني لا أتكلم مع أي احد. ابني يحاول دائما الاهتمام بي، ويدعوني للعشاء في الخارج. لا أريد أن أخبر أحداً، لا أحد سوف يشعر بألمي. (تونس 21)

أنا أعيش بمفردي، ولا أتكلم مع أي شخص، ولم أعد أستمتع بالعلاقات مع المجتمع. لقد أصبحت على درجة عالية من القلق والغضب. ولم أعد أستطيع تحمل الناس. أنا أعزل نفسي بشكل مستمر . (تونس 33)

هذا متصل بأولئك الأمهات اللاتي يبدو عليهنّ أنهن يعشن الحياة من أجل المفقود- أو من أجل خبر عنه- وليس من أجل الحياة:

ابنتي خطبت مؤخراً، أخبرتها أنني لا أريد حفل زفاف. أنا غير قادرة على تخيل السعادة والفرح... أي شيء أسمعه يذكرني بابني. ولا أستطيع أن اتحمل أي شيء آخر. (تونس 21)

إن وضعي النفسي يتحطم يوماً بعد يوم لأنني لا أستطيع إيجاد أطفالي، ولا أستطيع أن أتعلم اللغة السويدية أو العمل.. أنا دائما على الهاتف أو مجموعات الفيس بوك وصفحات المنظمات... زوجتي وابنتي في المنزل. لقد أهملت مستقبلنا، ولا أبحث عن عمل، وقد يتم رفض طلب اللجوء الخاص بي بسبب هذا الإهمال. (تركيا 15)

تؤثر التغييرات الكبيرة التي تحدث في المنزل نتيجة وجود شخص مفقود على النساء اللاتي بدأن بتولي قيادة العائلة. حيث أصبح بعضهن " أشد قسوة"- بشكل يعكس قدرتهن على التكيف بالرغم من الآلام- ومواجهة المجتمع.

ازدادت مسؤولياتي. أنا الآن رجل المنزل، عليّ أن أقوم بإحضار أسطوانة الغاز والخضار والخبز، في حال مرض أي شخص، كأمي مثلا، عليّ اصطحابهم إلى الطبيب. وأن أقوم بالأعمال الورقية مثل تسجيل ابن اخي الجديد وإحضار تقرير العائلة من منظمة عين كرش من أجل جامعة ابنتي. أنا أتصل بمصلح الأنابيب ، مصلح التلفاز ، ومصلح المجاري، وأصلح تسريب المياه في المنزل. كل مسؤوليات رجل المنزل تقع علي عاتقي الآن، ولهذا السبب أصبحت أكثر قسوة في الآونة الأخيرة". (تركيا 09)

إنّ حياتي ينقصها الدعم الأخلاقي، المادي والعاطفي... أنا وأطفالي نعاني من المشاكل النفسية الاجتماعية الآن. أنا لا أستطيع القيام بشيء دون زوجي: كأوراق المدارس والإقامة. وأنا مجبورة على القيام بكل شيء الآن دون أن أعرف كيف أتولى ذلك [...] لقد أصبحت الأب والأم والجدة والمعلم والخادم . (تركيا 10)

لقد واجهت نساء العائلة وخاصة زوجات المفقودين اللواتي وجدن أنفسهن بدون رجل في المنزل صعوبات خاصة:

بالنسبة لي المضايقات من الرجال (هي مشكلة). وأنا آخذ على عاتقي القيام بكافة المشاغل. أتمنى لو كنت أستطيع توفير مصاعب المواصلات العامة على بناتي، أو أن أستاجر سيارة فلا يضطروا للمعاناة في الأماكن المزدحمة. وخاصة بناتي الكبار، لا يوجد لديهنّ من يحميهنّ. أحاول أن أجهز الأشياء لهن ولكنني أواجه المضايقات من الناس في الطريق، أو سائقي سيارات الأجرة. (تركيا 21).

وتواجه زوجات المفقودين بيئة اجتماعية صعبة جدا حيث أنّ وضع الزوج – ليس حياً ولا ميتاً- يؤثر على شخصيتهن في المجتمع، والنتيجة أنهنّ لا يعتبرن زوجات ولا أرامل، بل يقعن في وضع خاص يعجز عن فهمه جزء كبير من المجتمع المسلم المحافظ. ويعود هذا في أحد أجزائه إلى النساء أنفسهن اللاتي يرفضن القول أنّ أزواجهن قد رحلوا، مما يعني بالتالي أنهنّ يرفضن احتمال الزواج بشكل قطعي.

لا أحد يجرؤ على أن يقترح هذا عليّ ، حتى لو بعد 50 سنة!!!... أنا بالطبع ضد هذه الفكرة. .. حتى وإن حاول الناس إقناعي. يستحيل أن أتزوج مرة ثانية ، إلا إذا اتصل زوجي وقال لي: "مرحبا أنا ميت، اذهبي وتزوجي". (تركيا 10)

بالطبع أنا لن أتزوج إلا إذا سمعت خبراً مؤكداً عنه... كيف لي أن أتزوج وزوجي لا زال مفقوداً !! قد يكون على قيد الحياة!!! [....] ماذا لو عاد ورآني متزوجة من شخص آخر!! إن مصيري مرتبط به، وأنا لن أقوم بأي خطوة مالم أسمع خبراً مؤكداً عنه. (تركيا 16)

والنتيجة أنه طالما أنّ النساء لا يملكن إجابات عن أزواجهن، فستبقى هؤلاء النسوة وحيدات. إلا أن احدى زوجات المفقودين ترى أن العمر والنوع الاجتماعي لشريك المفقود أموراً تؤثر على المنهج المتبع.

بالنسبة لي ، أنا لا أعتقد هذا ، أنا أريد أن أربّي أطفالي فقط. أما بالنسبة لزوج ابنتي، عليه أن يتزوج، فهو لا يزال في 25 من عمره. (تركيا 10)

آليات التأقلم والدعم الموجود

تسمى قدرة الفرد على تحمل أحداث مأساوية بالمرونة، وتعرف " بالنتائج الجيدة على الرغم من الأخطار الجدية للتأقلم والتطور" [18]. وهناك الكثير من المقالات التي تناقش المرونة في مواجهة الحِداد[19]، وتبحث في وضع اللاجئين والمهاجرين[20]. لذا يجب أن يسعى أي تدخل مع عائلات المفقودين على تطوير هذه المرونة بشكل مبني على آليات التأقلم الموجودة وقواعد الدعم خاصتهم، وهو ما يشكل جزءاً أساسياً من منهج الفقدان الغامض[21]. وهذا بعض ما نتج لدينا من المقابلات أثناء المناقشات بخصوص المساعدات المقدمة لزيادة المرونة، وللاطلاع على أي تدخل محتمل الحدوث مستقبلاً.

في الواقع أنا متفاجئة بقوتي، لقد كنت أعتمد على زوجي وعائلتي في كل شيء.... ولكن الحادثة جعلتني أكثر قوة واعتماداً على نفسي... بعد هذه الصدمة، ازددت قوة. (تركيا 16)

لذلك من الضروري عند الدعوة لمزيد من الدعم لعائلات المفقودين ألا يتمّ التعامل مع الفقدان الغامض كحالة مرضية: ففي كثير من الحالات يستطيع هؤلاء المتضررون متابعة حياتهم من خلال حصولهم على الدعم من العائلة والمجتمع، وبالرغم من كل الضوائق اليومية في حياتهم.

العائلة فقط (ساعدتنا). إنهم من كان هناك دائماً لخدمتنا. نحن من عائلة كبيرة في غزة، وأهل غزة وقفوا بجانبنا. (تركيا 10)

وفيما يتعلق بالمجتمعات المسلمة والتي تمثل جزءاً كبيراً من هذه الدراسة كان للعقيدة دور كبير في الدعم.

لا شيء يريحني سوى قراءة القرآن الكريم وصيام يومي الاثنين والخميس... مع أنّ زوجي وبناتي الثلاثة وابني بجانبي، ولكن لا شيء يريحني سوى الدعاء وقراءة القرآن. (تركيا 14)

---

[18] *Masten, Ann S. (2001) Ordinary magic: Resilience processes in development. American Psychologist, 56(3): 227 - 238.*
19 Bonanno, G.A. (2004) Loss, trauma, and human resilience: Have we underestimated the human capacity to thrive after extremely aversive events? American Psychologist, 50(1): 20-28.

[20] Hutchinson, M. and Dorsett, P. (2012) What does the literature say about resilience in refugee people? Implications for practice, *Journal of Social Inclusion*, 3(2); Daud, A, Klinteberg, B. and Rydelius, P-A., (2008) Resilience and vulnerability among refugee children of traumatized and non-traumatized parents, *Child and Adolescent Psychiatry and Mental Health* 2(7); Papadopoulos, R. (2002) *Therapeutic Care for Refugees. No Place Like Home*. London: Karnac, 2002. Tavistock Clinic Series.

[21] Boss, Pauline (2006) Loss, trauma and resilience: Therapeutic work with ambiguous loss. New York: Norton.

أحيانا أضع القرآن الكريم أمامي، وبجانبه صورة لابني وصورة لابن أخي، وأبدأ بقراءة الآيات وأطلب من الله العون والحصول على دليل أو حقيقة، فكل شيء بإرادة الله. أنا أؤمن بهذا. وهو ما يريحيني. (تونس 16)

وقد ذُكرتْ صلاة الاستخارة[22] بشكل خاص من قبل عدد من الذين تمت مقابلتهم وهي صلاة يصليها المسلمون وتتعلق باتّخاذ القرارات.

أنا أصلّي الاستخارة ويرسل لي الله إشارات بأنّ زوجي على قيد الحياة... وأراه في معظم الأحيان بحال جيدة، ولكن أحياناً أراه متعباً. ..إنني أتخيله بجانبي وكأنه ليس مجرد منام. (تركيا 10)

إننا نؤمن بالله، ونصلّي الاستخارة لكي يحميهم الله. إنّ علاقتي بالله جيدة. أحياناً أفقد الأمل ، ولكن سرعان ما يرسل الله لي إشارات أنّ أبناءنا موجودون في مكان ما، كأن يتصل بي أحد وبعطيني معلومات أنهم في مكان ما. إنّ الله يضع الإيمان في قلبي دائماً بأنهم على قيد الحياة. (تركيا 09)

تأتي أشد مظاهر الدعم الملموس من العائلات الواقعة في نفس الموقف. وخاصة في تونس حيث نجحت العائلات في تنظيم أنفسها (انظر الأسفل)

نحن نتصل ببعضنا يومياً عندما نستقيظ في الصباح. أذهب لمنزلها، أو هي تأتي إلى منزلي. إننا نتحدث، ونبكي ونضحك ونتذكر معاً. نحن لا نناقش أي شيء سوى موضوع أطفالنا المختفيين. نحن نتكلم عن أطفالنا واختفائهم كامل النهار. إنّنا نفكر في الأسئلة ذاتها ونعيدها آلاف المرات، إنّها الاستغاثة نفسها في كل مرة، نحن في بحث دائم عن بصيص أمل، عن إجابة محتملة. (تونس 06)

أنا لا أفكر بموته. لدي إحدى الجارات التي تأتي لزيارتي عادة، إنّ هذا يسمح لي أن اشارك معها ما يجري في داخلي، وأروي ما يدور في بالي. هذا هو كل شيء! إن الشخص القادر على أن يشعر بألمك هو من يعاني الألم نفسه. (تونس 13)

إن تمكين التضامن والعمل الجماعي قادر على تحويل تجارب الضحايا ومساعدتهم على "إعادة احتضان العالم"[23]. حتى وإن لم تؤدي إلى أي إجراءات من قبل السلطات، فإنّ الحراك يساعد الضحايا على الالتقاء بالآخرين ممّن هم في الوضع نفسه، ويساعدهم على صةاغى معنى لها الاختفاء ووضع هوية له مما يساعدهم على التأقلم. وأظهرت البيانات أنّ رابطة العائلات التونسية Terre pour Tous, ، تساهم في نقل العائلات من العزلة المغيبة إلى العمل النشط، ومنها إلى الأعمال الملموسة التي قد تؤثر في السلطات: وهو مثال على التأقلم النشط[24]. بينما العائلات في الشرق الأوسط وهي عائلات مشتّتة على طول الإقليم وفي أوروبا، تفتقد الوصول إلى باقي العائلات التي تعاني من المشكلة نفسها.

ويعتبر الدعم العلاجي طريقاً بديلاً لهؤلاء الذين يعانون من نتائج نفسية شديدة. ويبدو على العدد القليل من الذين ناقشوا هذه الفكرة أن لديهم مفاهيم مختلطة لدور هذا الدعم. بعضهم يتلقى العلاج والإرشاد: ويرحب بهذه الفكرة:

إن معاناتي تزداد يوماً يعد يوم، وأنا أزور طبيباً نفسياً. لقد وفروا لي طبيبا هنا. أنا أعيش على مضادات القلق. [...] أنا أذهب إلى هناك (الطبيب النفسي) ويتركني أتكلم وأبكي إلى أن أشعر بالتحسن. (تركيا 36)

بينما يبدو أنّ بعضهم تلقّى نصحاً معاكساً تماماً لمنهج الفقدان الغامض، حيث تمّ نصحهم بنسيان هذا المفقود بدلاً من إيجاد طرق للاستمرارية في الحياة بشكل جيد. وهو أمر محزن وصعب جداً على أفراد العائلة.

لقد تعرض لصدمة نفسية وخسر 35 كيلو غرام من وزنه. [...] لقد زارته استشارية نفسية في ألمانيا، ولكنّه طردها. [...] لقد طلبت منه أن ينسى عائلته التي قضت في البحر... فقد ذهبوا إلى ربهم وعليه أن ينسى... وهذا ما زاد غضبه فقام بطردها. (تركيا 08)

بينما تلقت عائلة أخرى نصحاً غير ملائم ثقافياً، وهو ما يؤكد على أهمية أن يراعي كلّ مَنْ يسعى لتقديم الدعم لعائلات المفقودين ثقافة هذه العائلات على الأقل، أو أن يشاركوهم هذ الثقافة كحل مثالي.

---

[22] انظر http://hadithoftheday.com/how-to-perform-salat-l-istikhara/

[23] Das, Veena (2000) The act of witnessing: Violence, poisonous knowledge, and subjectivity. In Das, Veena et al. (eds.), *Violence and subjectivity*. Berkeley: University of California Press.

[24] Colic-Peisker, V. and Tilbury, F. (2003) 'Active' and 'passive' resettlement: The influence of support services and refugees' own resources on resettlement style. International Migration, 41(5): 61 - 91.

لقد رتّبوا لي موعداً لكي أقابل إحدى الطبيبات النفسيات . لقد جلست معها ومع المترجم، وقالت لي أنا أنصحك بألا تتزوج. ولقد أخبرتها أن هذا الأمر غير وارد بالنسبة لي. ثم قالت عليك أن تجد صديقة إن أردت، اذهبا معاً واحتسوا شيئاً . لقد طلبت من المترجم أن يترجم إجابتي وقلت لها : إن هذا لا يمكن حصوله. هل نسيتي أننا مسلمون، وأنّ هذا محرم في الإسلام، إنني أشعر براحة أكبر عندما أقرأ القرآن. (تركيا 23)

يجب تقوية آليات التأقلم التي ناقشتها العائلات من أجل الحصول على تدخل يعمل على تعزيز المرونة. ومن بين هذه الطرق على سبيل المثال: تقديم المساعدة لدعم الأقران وتضامنهم لضمان قدرة رابطة العائلات على جمع العائلات المتضررة معاً. وبتوافر المواد المناسبة يمكن أن نجعل هذه الاجتماعات العائلية عنصراً علاجياً فعالاً ضمن المنهج القائم على المعالجة في المجتمع. فعلى سبيل المثال، يمكن تدريب أشخاص شبه مختصين " عادة ما يسمّون بالمرافقين" ، وقد يكونوا من أفراد العائلات المتأثرة نفسها، ويتم تدريبهم لقيادة حوار يهدف إلى تزويد الدعم من الأقران، وصياغة معنى الفقدان، وبالتالي القدرة على التأقلم مع الألم النفسي الناتج عن الفقدان الغامض (انظر الأسفل)[25]. وقد تكون العائلات المتضررة جزءاً من استجابة أكثر فعالية لهذه المعاناة، وعلاوة على كل هذا، لابد أن يكون كل جهد مبذول لمساعدة العائلات مبني على إطار ثقافي مناسب، يتماشى مع القيم والمعتقدات الدينية والاجتماعية للعائلات.

الفقدان الغامض كعدسة للتأثير على العائلات:

" [...]إنّ الفقدان الغامض هو أشد أنواع الفقدان صعوبة، فهو يتحدى القرارات ويخلق ارتباكاً طويل الأمد عن الشخص ويطرح سؤالاً : هل غادر العائلة أو العلاقة أم لا زال جزءاً منها، حيث يحصل المرء عند حدوث الموت على شهادة رسمية توثق هذا الفقدان، ومراسم الحداد تساعد الشخص على توديع المغادر، ولكن لا يوجد أيّ من هذه المؤشرات في الفقدان الغامض، ويعيق هذا الغموض المستمر الإدراك، وآليات التأقلم، وصياغة المعنى، كما يجمّد عملية الحزن". [26]

لم يتم طرح هذه الدراسة في الأصل لتوضيح النموذج الأفضل لوصف التأثيرات الواقعة على العائلات، ولكن البيانات تدعم تفسيراً يستعمل بصيرة نموذج الفقدان الغامض. إن استخدام عدسة الفقدان الغامض هي إحدى الطرق لتفسير التأثير الواقع على العائلات، وكذلك تقترح طريقة المناهج العلاجية، ويتم تقديمها هنا على أنّها نموذج يساعد في فهم التأثير الواقع عند فقدان أحد أفراد العائلة في الهجرة.

والفقدان الغامض هو "موقف لفقدان غير واضح ينتج عن عدم المعرفة إنْ كان الشخص المفقود ميتاً أم على قيد الحياة، غائباً أو حاضراً "[27]. ويحدث هذا عندما يكون أحد أفراد العائلة حاضراً نفسياً وغائباً جسدياً. والفقدان الغامض هو منظور نسبي يتميز بالتّوتر المصاحب له كونه خارجي ومستمر، وهو بالتالي يختلف عن الصدمة الفردية كاضطراب ما بعد الصدمة. ويشير عدد من الدراسات إلى أنّ حالات الفقدان الغامض ترتبط بمظاهر الاكتئاب والقلق والصراعات العائلية. وتمّ استخدام هذه القاعدة البحثية لتطوير نظرية سريرية لرؤية التوتر كمؤثر على الصحة العقلية والسلامة بشكل يخضع لمرونة الأفراد والعائلات . وخصوصاً أنّ البيانات تشير إلى حاجة العائلات لإنهاء الاختفاء بشكل يضع نهاية لما هو غامض في هذا الفقدان . وهو أمر غير متاح للعائلات، ويواجه نموذج الفقدان الغامض هذا الحاجة لإنهاء الموضوع.

إن الهدف هو إيجاد معنى لهذا الموقف على الرغم من غياب المعلومات واستمرارية الغموض، وتعني هنا المرونة، القدرة على العيش مع أسئلة لا إجابات لها. فبدلاً من طرح السؤال المعرفي المعتاد بحثاً عن الحقيقة، فإننا نسأل، " كيف يستطيع الناس العيش على الرغم من عدم المعرفة؟"[28]

وبالتالي يمكن لمنهج الفقدان الغامض أن يقدم دليلاً أساسياً على أهمية إجابة العائلات حول مصير أحبائهم المفقودين، كما أنه يخدم كإطار عمل لتقديم الدعم عند غياب هذه الإجابات. ويعد نموذج الفقدان الغامض إطار عمل كامل لفهم التأثير الواقع على العائلات في حالة اختفاء أحد أفراد العائلة وكذلك لصياغة التدخل الملائم لدعمهم. استعملت هذه الدراسة طرق البحث النوعي لفهم تعلق الفقدان الغامض بعائلات المفقودين في الهجرة. ويبدو أنه يتماشى مع ما أعربت عنه عائلات المفقودين، ويتضح هذا في بعض العناصر الرئيسية لمنهج الفقدان الغامض الذي وضعه *بوس* :

- المعنى: تتبع الحاجة لايجاد معنى بشكل قوي في البيانات، حيث تسعى العائلات بشكل دائم وفي كل مكان تقريباً لإيجاد طريقة لتفسير ما يعنيه الفقدان، وأكثر ما يكون هذا فيما يتعلق بمصير المفقود

[25] A programme in Nepal provided such peer support alongside economic and social interventions that sought to address all aspects affecting families of the missing: ICRC (2011) Hatey Malo Psychosocial Support Programme, Kathmandu: ICRC.

[26] Boss, Pauline (2006) Loss, trauma and resilience: Therapeutic work with ambiguous loss. New York: Norton

[27] Boss, Pauline (2004) Ambiguous Loss Research, Theory, and Practice: Reflections After 9/11. Journal of Marriage and Family 66: 554.

[28] Boss, Pauline (2007) Ambiguous Loss Theory: Challenges for Scholars and Practitioners. Family Relations 56: 106.

- الهوية: يثير الاختفاء قلقاً تجاه دور كل من أحاط بالمفقود، أمهات بلا أبناء، وزوجات بلا أزواج يحاولن إعادة بناء هوياتهم على الرغم من حالة الشك.

إنّ قيمة التضامن ومجموعات الأقران تكمن في أنّها تقدم مساحات لمناقشة المعنى والهوية بمصطلحات يستخدمها أشد المتضررين.

- تسوية التناقض: يعيش الكثير من أفراد العائلات في تناقض نابع من الغموض حيث أنّ القلق والتوتر والصراعات العائلية بعض هذه المظاهر. وأغلب الذين تمت مقابلتهم استنكروا قدرتهم على متابعة حياتهم دون الحصول على إجابة، إلاّ أن بعضهم قام بهذا بالفعل. إنّ تسوية الغموض والتناقض الناتج عنه يعني أولاً الاعتراف به[29]. وتأتي المرونة من الاعتراف بهذه المشاعر المتناقضة والتحكم بها. ويصف *بوس* هذا بالاستغناء عن فكرة أن الشخص المفقود هو ليس حياً ولا ميتاً، ومحاولة العيش مع كلا الاحتمالين، ومع هذا التناقض الذي يحمل بصيص الأمل في العودة، على الرغم من القدرة على الاستمرار في الحياة.
- مراجعة الصلة : تعني مراجعة الصلة تعلم العيش مع الفقدان الغامض لشخص قريب، وإحدى الطرق الواضحة لمراجعة الصلة هي الانتقال " من اليأس إلى الاحتجاج"[30]. وصاغت هذه العائلات التونسية المشاركة في الحراك كاستجابة على الاختفاء علاقة تضامنية جديدة تربطهم مع أحبائهم دون الاعتراف أو قبول حقيقة فقدانهم، ويعتبر إحياء ذكرى المفقود طريقة أخرى للقيام بهذا، وذلك لمنح المفقود قيمة وإيجاد معنى مشترك، دون تقليد مراسم الوفاة، أي أنها تحية وليست تذكار.
- اكتشاف الأمل: ويبقى الأمل كامناً لدى هؤلاء الذين يتأقلمون بدرجات بسيطة مع فكرة المفقود ولكن يركّزون بشكل كبير على الشخص المفقود. و هناك الكثير من الأفراد العاجزين عن إيجاد أهداف تتخطى حدود الاختفاء. ويكمن الهدف العلاجي في دعم العائلات لإيجاد آمال جديدة في حياتهم، خارج نطاق المفقود.

ويبدو أنه من الممكن تطبيق منهج الفقدان الغامض على العائلات التي تمّت مقابلتها في كل من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وهو ما يقترح أنّ التجارب العالمية للعمل مع العائلات المتضررة من الاختفاء في الصراعات يزيد من المعلومات حول المناهج المتعلّقة بدعم عائلات المهاجرين المفقودين. [31]

وينطوي وراء التأثير والحاجات الفردية والعائلية متطلبات أكبر لهذه العائلات كأن يتم سماع صوتهم اجتماعياً وسياسياً. ففي بعض السياقات، يستحيل مناقشة الاختفاء – في وجه الصراع، فهو بكل بساطة أمر ليس ذو أهمية. وفي سياقات أخرى كتونس، حيث اتخذت السلطات بعض الخطوات للاعتراف بهؤلاء المفقودين وحلّ المشكلة، إلا أن العائلات تشعر بأنه لم يتم الاعتراف بها، بينما هذا يرتبط بالمعنى الذي تمنحه العائلات لهذا المأزق- مقارنة بالمعنى الذي يمنحه الآخرين، إلا أنّ هذا يتخطّى حدود الفقدان الغامض النفسي الاجتماعي، ويؤكد على المكانة السياسية التي ترجو العائلات أن تنالها قضيتهم، وتسعى العائلات لأن تروي قصصها، وأن يتم الاعتراف بمكانها من قبل الدولة والآخرين، كخطوة تجاه الحراك السياسيّ الذي يمكن أن يعود عليهم بأخبار عن أحبائهم المفقودين.

البحث عن الأقارب المفقودين:

أنا أقول أنني ما دمت أتنفس ، سوف أبقى أبحث عن ابني حتى آخر نفس. لن أستسلم! (تونس 16)

حاولت جميع العائلات البحث عن المفقود بكل الطرق المتاحة. في بعض الحالات، يعيش الأقارب في أوروبا أو كانوا من الناجين من حطام السفن التي فُقِدَ فيها أفراد من عائلاتهم، وبالتالي كانوا قادرين على العمل مع السلطات في عملية البحث في اليونان ودول أخرى، بينما غيرهم بقي في بلاده ولجأ لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في عملية البحث، وفي بعض الحالات حاولوا العمل مع السلطات المحلية.

الأعمال التي قامت بها العائلات

بما أنّ عدداً كبيراً من هذه العائلات هي من سوريا والعراق التي تمكّنت من الوصول إلى أوروبا، فإنّ هؤلاء وجدوا أنفسهم في أماكن جمع الجثث، واستطاعوا البحث عن الجثة.

[29] Boss, Pauline (2006) Loss, trauma and resilience: Therapeutic work with ambiguous loss. New York: Norton.

[30] Boss, Pauline (2006) Loss, trauma and resilience: Therapeutic work with ambiguous loss. New York: Norton.

[31] e.g. ICRC (2013) Hatey Malo Accompaniment Program: ICRC's Comprehensive Support Program to the Families of Missing Persons in Nepal. Kathmandu: ICRC.

لقد بقينا نبحث ونبحث في البحر ونحن نفكر بأنّه من المحتمل أن يكون قد غرق وقد يظهر على الشاطئ بعد يوم أو يومين. لقد بحثنا في المنحدرات التي على شاطئ البحر، وبين الصخور أيضا ولكننا لم نجد شيئاً. ولقد بحثنا مع خفر السواحل أيضا، وبعد يوم أو يومين ذهبنا للبحث معهم. [...] وقد أخذنا خفر السواحل إلى جانب إحدى الجزر وقام والدي بالسباحة نحو الجزيرة وبحث فيها، ولكننا لم نجد شيئاً. (تركيا 35)

قام بعض الأشخاص بالسفر إلى اليونان من دول أخرى في أوروبا متجهين من جزيرة إلى أخرى بحثاً عن الجثة وفي أماكن الاحتجاز والمستشفيات.

لقد ذهبت بواسطة سيارة أجرة إلى كل الجزر، وسألت كل سائقي سيارات الأجرة عن المشافي، مراكز الشرطة، خفر السواحل ومخيمات اللاجئين. كنت لا أعرف البلد على الإطلاق... لقد بحثنا في كل مكان. ثم ذهبت إلى جزيرة رودوس وذهبت مع مجموعة أخرى إلى جزيرة ميتيليني وساموس... لقد بحثنا في كل جزيرة في اليونان. (تركيا 13)

هناك صعوبة في الحصول على تأشيرة دخول، ولقد وصلتنا مناشدة من إحدى العائلات حول تسهيل زيارات العائلات للبحث عن المفقود

وإنّني أطلب في هذه الحالة تأشيرة دخول لمدة أسبوع واحد من الحكومة اليونانية لكي أستطيع أن أذهب وأبحث عن ابني. بإمكانهم وضع استثناءات والحصول على ضمانات، بإمكانهم أخذ جواز السفر الخاص بي وهويتي. لذا أنا أطالب الحكومة اليونانية أن تمنحني تأشيرة دخول لمدة محددة لكي تتمكن العائلات من البحث عن أبناءها. وإن كانوا قلقين من هربي أوذهابي إلى ألمانيا فبإمكانهم الحصول على ضمانات. (تركيا 24)

تمكن الموجودون في اليونان من زيارة السلطات لرؤية صور الجثث التي تمّ انتشالها مؤخراً، أو الذهاب إلى المشرحة لفحص الجثث، كما هو حال إحدى العائلات في تركيا.

ومن ثم بدأت المأساة الحقيقة حيث أخذونا مدة تزيد عن 10 أيام ونحن نتعرف على الجثث من القارب الخاص بنا. لقد رأيت 84 جثة إلى الآن. 4 أو 5 جثث يومياً وأحياناً تصل إلى 10-15 جثة في اليوم. [...] ربما لم أتمكّن من التعرف على أي منها لأنّ الجثث تشوّهت بعد 10 أيام في الماء، وكان من الصعب التعرف عليها. بعد 20 يوم في اليونان أصبحت بوضع نفسي مزري، ولم أعد أستطيع الانتظار رغم أنني كنت أشعر أن مسؤولية التعرف على ابن عمي تقع على كتفي. لقد اتصلت بعائلته بعد 20 يوم وطلبت إرسال أحد ما إلى اليونان لأنني استنفذت كل الخيارات، وكنت أرى جثث جديدة يومياً، ولكنني لم أجده. (تركيا 07)

كما حاولت العائلات زيارة أماكن الاحتجاز لترى ما إذا تمّ احتجاز أقاربهم

لقد بقيت أبحث في هذه المنطقة لمدة 15 يوماً. ثم نصحتني الشرطة اليونانية بالإبلاغ عن ملف مفقود لأخي والقيام بتحليل الحمض النووي لأنه في حال حدوث شيء سيء – لا سمح الله- فيمكننا أن نعرف من خلال الدم. لذلك قمت بتحليل الحمض النووي وأبلغت عن مفقود وأعطيتهم نسخة من هويته وكل شيء. (تركيا 33)

عندما لا يوجد أي أثر تقوم العائلات بالإبلاغ وتسجيل ملف عن المفقود لدى السلطات وتعطيهم عينة من الحمض النووي.

بينما في المقابل، تواجه العائلات التي بقيت بعيدة عن أوروبا صعوبات أكبر من صعوبات العائلات التي تبحث في أوروبا مباشرة. ولكنهم أيضاً تمكّنوا من البحث في احتمال وجود الجثث على الشواطئ التونسية.

لقد ذهبت إلى غابس عندما تم استخراج الجثث من الشاطئ التونسي، لقد كان عليّ تفحص العديد من الجثث لمعرفة ما إن كان ابني بينهم، ولكن سدى...هل يمكنك تخيل هذا؟ لقد كنت أمضي أياماً بكاملها مع الجثث. إنّ هذا كان مدمراً ! 4 أشهر مع الجثث أبحث عن ابني بينهم، فكنت أعود إلى المنزل مريضاً ومتعباً ممّا كنت أراه. (تونس 23)

وكان على العائلات الوصول إلى السلطات في بلادهم، أو استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للبحث عن المفقود (انظر الأسفل). وقامت بعض العائلات التونسية بتسليم نماذج من الخلايا للقيام بتحليل الحمض النووي للجثث التي وجدت في تونس، ولكن لم تتواصل السلطات مع أي منهم.

وسائل التواصل الاجتماعي واستخدامها من قبل عائلات المهاجرين المفقودين

أوضحت نتائج هذه الدراسة أمران : التحديات للتضامن بين العائلات – لا يوجد هناك أي طريق لجمع هؤلاء المشتتين في مكان واحد- لتوفير كل من الدعم العاطفي والرؤية السياسية، كما أوضحت قلة الطرق المتاحة للدول التي تتعامل مع جثث المهاجرين للتواصل مع عائلات المفقودين.و تتوافر في وسائل التواصل الاجتماعي القدرة على تطوير هذين العاملَين، وقد بدأت العائلات باستخدام وتطوير الأدوات الموجودة كمحاولة للقيام بهذا.

إنّ العائلات السورية والعراقية نشطة جداً على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يقومون بمشاركة الصور وغيرها من المعلومات على الفيس بوك ومواقع أخرى، بالرغم من إدراك الكثيرين منهم أنّ هذا إجراءٌ بائسٌ:

لم يساعدني (الفيس بوك) في أي شيء. ولكن كما نقول أنّ الرجل الذي يغرق يتعلق بقشة. .. إن هذا ينطبق عليّ مع الفيس بوك. قد نحصل على أي معلومة، أو قد يساعدنا أحدهم. لقد ساعدني الفيس بوك فقط في الحصول على بعض أرقام الهاتف. (تركيا 04)

إنّ هذا يعكس الدور الكبير لوسائل التواصل الاجتماعي في الهجرة عبر المتوسط من التخطيط للرحلة، والتواصل مع المهربين، وتخطيط الطريق في أوروبا [32]. إنّ إحدى التحديات في وسائل التواصل الاجتماعي هو أنّ الكثير مع المعلومات هي معلومات مزيّفة، وإنّ هذه مواقع عامة يمكن أن يتم استخدام المعلومات فيها لنوايا سيئة كاستغلال هذه العائلات البائسة (انظر الأسفل). ولكن يبقى الفيس بوك وسيلة ساعدت العائلات على فهم الوضع بشكل أفضل:

لقد أعطانا الفيس بوك رؤية أوسع لما يحدث. في البداية لم نكن نعلم شيئاً ولم نكن مهتمين بموضوع المفقودين. ولكن بعد الحادثة، بدأنا نقرأ عن الموضوع ونعرف أكثر عنه، ولكن إن كان قصدك أنّ شخصاً تواصل معنا وقال أنّه يعرف فلان، فإن هذا لم يحدث. لم يره أحد. ولكننا استفدنا من الفيس بوك بتوسيع معرفتنا عن الموضوع. (تركيا 35)

كما توجد في وسائل التواصل الاجتماعي القدرة على توفير التضامن بين العائلات التي تعاني من المشكلة نفسها . أي إيجاد مجتمعات تخيّلية على الانترنت نظراً لعدم القدرة على تشكيل هذه المجتمعات على أرض الواقع.

إنّني ممتنّة جداً للشباب والبنات في مجموعات البحث عن المفقودين على الفيس بوك، لقد كانوا يبحثون معي. (تركيا 27)

ومن الواضح أنّ ما يحدّ قدرة وسائل التواصل كأداة للتعرف على المفقودين _ سواء أحياء أو أموات_ هو عدم مشاركة الدول في تداول البيانات التي تم جمعها. لقد اقترحت إحدى العائلات أن يتم نشر صور الجثث على الانترنت لكي تتمكن العائلات من رؤية المفقودين والتعرف عليهم من أي مكان:

إن كان هناك صور لجثث المفقودين لماذا لا يتم نشرها لكي تتمكن العائلات من معرفة إن كانوا أحياء أو أموات بدلاً من تركهم هكذا في الظلام؟ هنالك الكثير من صور المفقودين، ويمكن الوصول للعائلات عبر الفيس بوك إذا تم وضع الصورة والاسم. وفي حال لم يكن هناك معلومات عن المفقودين فيمكنهم وضع صورة للملابس التي كان يرتديها. لماذا يلتقط خفر السواحل الصور للجثث إن كان لا ينشرها لتراها العائلات؟ (تركيا 22)

إنّ هذا التحدي في التعرف على المفقود يكمن في جمع بيانات الجثة – بيانات ما بعد الوفاة، كالعلامات الفارقة على الجسم، الممتلكات العينية أو الحمض النووي مع بيانات ما قبل الوفاة- الشهادات من الأقارب حول المفقود وبيانات الحمض النووي خاصتهم. يمكن تأكيد التعرف على الجثة فقط عن طريق مطابقة بيانات ما قبل الوفاة مع بيانات ما بعد الوفاة أو عن طريق التعرف المرئي باستخدام صور الجثث. ودون شك فإنّ الاقتراح المذكور في الأعلى يوضح قدرة وسائل التواصل الاجتماعي على تقليص المسافة بين السلطات التي تمتلك بيانات ما بعد الوفاة والعائلات التي تمتلك بيانات ما قبل الوفاة.

إنّ إحدى المشكلات التي واجهتها العائلات في بحثها عن المفقودين عبر وسائل التواصل الاجتماعي هي أنها تلقت مكالمات من عائلات تدعي أنها تمتلك معلومات عن الأطفال المفقودين، ممّن يحاولون كسب الأموال من هذا الوضع، فلقد نشرت الكثير من العائلات طلباً للبحث عن معلومات على الفيس بوك وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي ممّا جلعهم عرضة لهذا النوع من الابتزاز:

لقد تواصل معي رجل آخر قائلاً إنه يعلم مكان زوجي، ولكنني اكتشفت أنه كاذب ويريد الحصول على المال وحاول تهديدي. إنّ هذا الرجل يتواصل مع عائلات المفقودين التي تضع صوراً للأفراد المفقودين في العائلة. (تركيا 21).

لقد تعرضت للابتزاز لأنّ أحدهم اتّصل بي قائلاً أنه يعرف مكان ابني وهو في السجن في اليونان لأنه كان المهرب وكان يقود القارب. وأرسل لي رسالة اليوم وقال أنّ المحامي يستطيع إخراجه ولكنه يريد $20,000 . وقال إنّهم سيخرجونه، كما قال إن هناك عائلة للشخص الآخر المعتقل مع ابني واسمه محمد. ثم قال في النهاية أنه اتفق مع المحامي أن نعطيه $3,000 فقط. وقال إنّهم سوف يدفعون 1,500 $ وعليّ أن أدفع 1,500 $ ليتم إطلاق سراحه. ثم سألني هل تريد ابنك، قلت له نعم. ثم سالني: كم تبلغ قيمة ابنك عندك؟" (تركيا 24)

إن هذا مجرد مثال واحد على سوء استعمال بيانات المفقودين بعد نشرها على الملأ. كما يعرض الحذر الذي يجب مراعاته عند نشر بيانات كهذه.

[32] RMMS(2016) *Getting to Europe the 'WhatsApp' way: The use of ICT in contemporary mixed migration flows to Europe*. Nairobi: RMMS.

استجابة السلطات

في بعض الحالات كانت تستجيب السلطات لاحتياجات ومطالب العائلات، وهي مذكورة هنا. ولكن في حالات كثيرة أخرى مثل وضع اللاجئين السوريين أو الأريتيريين فلا يوجد هناك أي أمل في أن تقوم السلطات بدورها في مشاركة المعلومات أو الدعم للعائلات في عملية البحث عن أحبائهم المفقودين.

تونس:

إن تونس إحدى الأمثلة القليلة التي اتّخذت التحقيقات فيها خطوات ملموسة للبحث عن المفقودين، فقد تمّ إنشاء لجنة تحقيق في عام 2015 وتشمل ممثلاً عن العائلات، وتعمل مع وزارة الداخلية الإيطالية لفهم وتحليل حوداث الاختفاء. ولكن وعلى الرغم من القيام بالتواصل مع السلطات الايطالية، فلم يتمّ إلى الآن الحصول على أي معلومة مفيدة.

لقد تواصلت العائلات مع عدد من مؤسسات الدولة، ولكن النتائج كانت محدودة:

> لقد طرقنا جميع الأبواب، وزارة حقوق الانسان، وزارة العدل، ووزارة الداخلية. لقد أخبرونا أنهم سيعملوا على الموضوع، ولكن لم يحدث شيء. كل مرة يعلنون عن إنشاء لجنة تحقيق لكي تعمل على ملف المفقودين ، ولكنها لم تحقّق شيئاً بسبب حالة عدم الاستقرار في البلد. (تونس 01)

في الواقع هناك توهّمات كثيرة لدى العائلات التونسية تحيط بالسلطات، على الرغم من تمكُّن بعضهم من مقابلة قيادين سياسيين رفيعي المستوى، من بينهم الرئيس التونسي. وذُكِر في أحد المقابلات كيف لجأت العائلات إلى دفع النقود لسائق دبلوماسي تونسي رفيع المستوى لكي يوصل إليه صور لبصمات أصابع أحد المفقودين. إنّ هذا الإهمال الواضح أدى إلى وجود ضعف في الثقة بالسلطات التونسية.

> الحكومة لم تفعل شيئاً وأنا لا أثق بها، فكل مرة نلتقي فيها بمسؤول نعود دون أي معلومة. لا شيء جديد. عندما أذهب إلى تونس العاصمة أجد نفسي أفكر فيما يمكن أن أقوله لعائلتي وجيراني عندما أعود. فأنا لا أملك أي إجابة لهم. وخاصة فيما يتعلق بزوجي. لقد قال لي أنه يخسر امواله على المواصلات وأنا أعود في كل مرة ولا شيء تغير. إنه يفضل أن نحافظ على المال لكي ننفقه على المنزل وعلى البنات. (تونس 15)

أعربت بعض العائلات عن الحيرة في كيفية التواصل مع السلطات وخاصة العائلات الموجودة في الريف والتي لا تستطيع تحمل أعباء السفر إلى تونس العاصمة بانتظام. واثنتين من عائلات المفقودين لم تكن تعلم بوجود لجنة التحقيق. بينما علّق البعض الكثير من الآمال على اللجنة واعتقدوا أنّه تم التواصل مع السلطات الإيطالية وأنّ تحليل الحمض النووي في طريقه. وكان هناك أيضاً من لا يثق باللجنة، ومن يراها منفصلة عن الحكومة وقادرة على تلبية احتياجات العائلات:

> أعتقد أنّ السلطات التونسية تريد البحث والتحقيق وخاصة أنّ إيطاليا تبدو متعاونة في الموضوع. لذلك نحن نتأمل أن تجد لجنة التحقيق حلاً لهذا الغموض . (تونس 20)

ولكن لم يحصل أيّ منهم على معلومات من اللجنة وكان هناك قلق حول الوقت الذي مضى منذ اختفائهم دون اتخاذ أي خطوات فعلية. إنّ المطلوب من السلطات أن تقوم اللجنة بعملها، والتفاهم بخصوص التنسيق بين تونس وإيطاليا كونه الحل الوحيد لحل هذه المعضلة

> أعتقد أنّ حكومتنا تستطيع العمل وإيجاد الحقيقة بخصوص أبنائنا. فبإمكانهم التواصل مع السلطات الإيطالية لتحقيق العدالة نحو العائلات. عليهم أن يخبرونا إن كان أبناؤنا على قيد الحياة أم أموات. (تونس 04)

العراق

فيما يتعلق بالسلطات العراقية المحلية فإنّ القنصلية العراقية في اليونان قامت باتخاذ بعض الإجراءات الاستباقية في بعض الحالات، من بينها الحصول على تفاصيل المفقود من العائلة ومنح بيان يتعلق بالمفقود، وتقوم القنصلية اليونانية بجمع تحاليل الحمض النووي في العراق من العائلات من خلال وزارة الخارجية العراقية. وتحصل العائلات على رقم في الوزارة لتتبع سير العملية.

أوروبا

كما هي حال الكثير من المهاجرين واللاجئين في أوروبا، فإنّ العائلات أعربت عن تواصل سيء وجهد ضعيف من السلطات اليونانية للبحث عن أحبائهم المفقودين. وتعتقد العائلات أنها تتلقى معاملة سيئة بسبب العرق، كما واجهت الكثير من الصعوبات لمعرفة الإجراءات الموجودة. – كالقدرة على رؤية صور الجثث- فواجهوا الكثير من الصعوبات للوصول إلى هذه الإجراءات:

> لهذا السبب قام صديقاي – أحدهم أمريكي والآخر دنماركي- بمساعدتي، لون شعرهم أشقر وعيونهم زرقاء مما جعل اليونانيين يبدون بعض الاحترام وتجاوبوا معنا إلى أن تمكنّا من الدخول إلى المكتب. هل تصدق لقد جلسنا على الأرض أمام مكتب صغير لمدة 3 أو 4 ساعات، وكل بضعة دقائق يخرج أحد من الداخل: ويغلق الباب في وجهنا ويقول "لا تأتوا مجدداً" بشكل عنصري ومهين جدا. (تركيا 01)

الحراك والدعوى

إن إحدى التحديات الكبرى التي تواجه عائلات المفقودين في الحصول على موقعهم في وسط مناقشة ظاهرة المفقودين في البحر المتوسط هي أنهم غير مرئيين. حيث تنتشر العائلات المتضررة في عدة قارات وفي العشرات من الدول، بعضهم لا زال في بلاده، وبعضهم نزح داخلياً بسبب الاقتتال، وبعضهم لاجئ في أوروبا أو أماكن أخرى. وهذا منع عنهم أمرين: التضامن والوقوف معاً من أجل دعم جماعي (انظر الأعلى) والحراك من أجل الدعوى لقضيتهم في أماكن أخرى شهدت اختفاء الناس- كأنظمة الحكم الاستبدادية-. إنّ لحراك العائلات السياسي دوراً أساسياً لضمان مواجهة القضية [33]. فمن بين العائلات التي تمّت مقابلتها في هذه الدراسة، وحدها العائلات التونسية تمكّنت من إيجاد منظمات مدعومة من المجتمع المدني لتقوم بالتمثيل والدعم.

تمّ إنشاء رابطة *Terre pour Tous* *(الأرض للجميع)* في 2012 في تونس من قبل العائلات لتضع قواعد لجهودهم في العمل مع السلطات لمواجهة قضية المفقودين.

> إنّ هذا فتح المجال لحراك أكثر تنظيماً وفاعلية في الأشهر الأولى، فبعد حادثة الاختفاء كانت العائلات في حيرة كلياً. كانوا يعملون على موضوع الحراك السياسي بشكل مبعثر وعشوائي، وكل شخص يتجه باتجاه، ويبذل قصارى جهده لمقابلة المسؤولين من أجل إيصال صوته.منذ إنشاء الرابطة أصبحت العائلات أكثر اهتماماً في تنظيم الفعاليات ومقابلة أفراد من الحكومة، وكان هناك دائماً طريقة للتواصل عبر الهاتف وهذا سهّل عملية الحراك، ومن ثمّ أصبحنا عائلة كبيرة. (تونس 03)

> في البداية لم نكن نعرف بعضنا البعض، ولكن تجمّعنا كلّنا في الحراك، وأصبحت المجموعة تكبر تدريجياً. جاءت إحداهن تسأل عن وجود أخبار لابنها المفقود، وامرأة أخرى سألت إن كنت أعرف أي شيء عن ابنها الذي رحل مع ابني. التقت عائلات المفقودين ببعضها عن طريق تبادل الأحاديث، ثم استطعت أن ألتقي بإحداهن التي كانت عضوة في رابطة TpT. (تونس 17)

في بعض المناطق ترتفع أعداد المفقودين ممّا يساعد على التجمع محلياً، وكذلك من خلال المظاهرات الوطنية والفعاليات في تونس العاصمة، وكانت الرابطة مركزاً للدعوى عن طريق العمل مع المنظمات الإعلامية لنشر قصصهم، وكذلك من خلال إيجاد بنية تمثيلية لإرسال مبعوثين إلى السلطات.

وترى العديد من العائلات في الرابطة استجابة أساسية لأقاربهم المفقودين، فهي تخلق منصة للتحرك والعمل ، وآلية لدعم تأقلم العائلات:

> أنا أشعر بالسعادة عندما أشارك في الحراك مع باقي العائلات، أشعر بالانتماء، وفي بعض الأحيان وأنا في العمل ويتم دعوتي للمشاركة في مسيرة أو اجتماع، فأنا أترك كل شيء لأشارك معهم. (تونس 04)

إلّا أنّ بعض العائلات تواجه بعض التحديات للمشاركة، فهم يعيشون بعيداً عن تونس العاصمة ومواردهم المالية محدودة.

> كلا ، هذا (الحراك) بلا نفع. إنّ العائلات تعمل منذ 4 سنوات ولم يجدوا أي شيء بعد... إنّ زوجي يعاني من مرض القلب وأنا لا أستطيع تحمل أعباء المواصلات، وحتى وإن حصلت على بعض النقود فإنّ زوجي مريض جداً وأنا لا أستطيع السفر بمفردي. (تونس 33)

بينما يرى البعض أن إنشاء لجنة التحقيق هو دليل على نجاح هذا الحراك:

[33] The classic example is that of the Mothers of the Plaza de Mayo, in Argentina: Agosin, Marjorie (1987) A visit to the mothers of the Plaza de Mayo. Human Rights Quarterly, 9: 426 - 435.

لقد قابلوا مسؤولين ولم يستمعوا لهم، وأهملوهم بكل بساطة، بعد وعودهم أن يعالجوا الموضوع ولكن هذا كان من باب البلاغة السياسية فقط. ثم بدؤوا بالتظاهر والاعتصام إلى أن استمعوا إليهم. لقد تمسّك أهالي المفقودين بهذا الأمر ممّا أدى إلى إنشاء لجنة التحقيق. (تونس 19)

على الرغم من عدم وضوح منجزات رابطة الأهالي، إلا أنّه يتضح لنا من البيانات أنّه بالرغم من عدم وجود تقدّم ملموس في إيجاد معلومات عن المفقودين، إلا أنّ العائلات استفادت من هذا الحراك من جهة التضامن والدعم.

ويتضح من خلال تونس أن هناك عدداً من الأسباب التي قد تؤدي لجمع عائلات المفقودين معاً ليصبحوا مرئيين للعالم. وطالما أنّ التركيز يقع على حدود أوروبا والجثث، بدلاً من معاناة العائلات، فإنّ الدعوة حول القضية سوف تبقى مفتقدة للعنصر الإنساني الذي يدعو للحاجة إلى التحرك. وبالإضافة لهذا فعلى العائلات أن تجد طريقة لتمثيلها ومنحها صوتاً لكي تصبح معنية كعنصر مركزي في معالجة القضية. وفي النهاية فإنّ التعرف على الجثث يتطلب جمع بيانات ما بعد الوفاة من الدول التي تستقبل جثث اللاجئين ومطابقتها مع بيانات ما قبل الوفاة التي تستيطع العائلات وحدها تقديمها. ورابطة العائلات هذه تمثل إحدى الطرق التي يمكن من خلالها الوصول إلى العائلات وجمع هذه البيانات.

إنّ تونس بلد ديمقراطي منفتح يسمح بوجود رابطة للعائلات كهذه، وهو وضع مغاير لحال باقي دول المهاجرين. ففي الدول التي يكثر فيها الصراع، وتكون السلطات فيها غير متسامحة مع الهجرة والمعارضة ، فإنّ أي حراك من هذا النوع هو أمر مستحيل وأحياناً خطر. ففي حال لم تكن هذه التجمعات في دول منشأ المهاجرين، يجب أن يكون هناك بدائل محتملة في الاتحاد الأوروبي ، لكي تنظم العائلات أنفسها على أرض الواقع في مدن ذات تعداد كبير من اللاجئين أو على الانترنت.

النتائج والتوصيات

إنّ أهم النتائج في هذه الدراسة هي قلة وضوح مصير هؤلاء المفقودين مما يترك أثراً مأساوياً على عائلاتهم. وهذه العائلات تتأثّر بطرق تقلّل من صحتهم عاطفياً ونفسياً على المستويين الفردي والجماعي. كلّ مَنْ تم إجراء مقابلات معهم أعربوا عن شعورهم بالحزن، واضطراب قلق عام، وتأثرت قدرة الوظائف بشكل كبير عند أشد المتضررين ومنهم من لجأ إلى العلاج النفسي، بينما يعاني الكثير من اضطرابات في النوم، والأحلام والكوابيس والذاكرة المتعلّقة بالمفقود، وغيرها من المشاكل الصحية.

أكّدت النتائج على صلاحية منهج "التدخل الهرمي". فقلّة من العائلات تعاني من الأثر الناتج عن الفقدان الغامض وصدمة الرحلة إلى أوروبا التي خاضوها- والتي فقدوا فيها أقاربهم إثر حادث الغرق- فهؤلاء بحاجة إلى الدعم المختص. إلّا أنّ الغالبية تبدو قادرة على التأقلم عن طريق الاستفادة من دعم العائلة، والأصدقاء والآخرين ممّن هم في نفس المشكلة، ويمكن رؤية هذا في الطرق التي تستفيد منها العائلات التونسية من الدعم المقدّم من باقي العائلات المتضررة، كما توضّح أيضاً خطورة الانعزال لمن لا يجد الدعم المطلوب.

كما تعاني العائلات من تأثير اجتماعي سيء، فالصراعات العائلية أمر شائع وكذلك الطلاق مع اللوم على فقدان الابن. ومن طرق التأقلم السلبية: عزلة النفس، والقلق الهوسي بالمفقود الذي ينتج عنه الإهمال لباقي أفراد العائلة والتزامات الحياة، وتعاني النساء بشكل خاص من تغيير جذري في أدوارهن، فهن يصبحن أرباب الأسر عندما يكون الزوج مفقودا.

ويتم اقتراح عدسة الفقدان الغامض هنا كإطار عمل لفهم كل من التأثير الناتج عن وجود شخص مفقود في العائلة والطرق الممكنة لدعم العائلات المتضررة بشكل فعّال، وناقش بعض الذين تمّت إجراء المقابلات معهم الدعم النفسي المختص الذي تلقوه، إلا أنّه كان غير مناسب على الإطلاق على الصعيدين الطبي والثقافي، وهو ما يقترح ضرورة التدريب المستهدف والمخصص لهذه الفئة من الناس في كل من أوروبا ودول اللاجئين.

إن احتياجات العائلات واضحة فهم يبحثون عن إجابة، عن حل لعدم وضوح مصير المفقود- هل هم أحياء أم أموات؟ وفي كلتا الحالتين : يريدون أن يعرفوا أين هم هؤلاء المفقودين، فإن كانوا أمواتاً تريد العائلة استرجاع الجثة وإرسالها إلى الوطن الأم ليتم تشريفها ودفنها في مكان يعيد هؤلاء المفقودين كجزء من العائلة. ولقد بذلت بعض العائلات جهوداً في التعرّف على المفقودين، ومن بينها الجهود المضنية في التعرّف على الجثث في المشرحة أو البحث في صور الجثث عن أحبائهم المفقودين. وقام العديد بمشاركة نماذج الحمض النووي إلّا أن قلّة منهم لاقت نتيجة. أمّا في حال تأكدت الوفاة، تريد العائلات استعادة الجثث ليتم تشريفها بطرق تقليدية في مجتماتهم.

للعائلات طرق تأقلم خاصة بهم- عادة ما تكون فعالة. ومن بينها الدعم من باقي أفراد العائلة، والعقيدة ، وطرق الحراك للتضامن مع الآخرين المتضررين من المشكلة ذاتها للحصول على الدعم وكطريق للدعوى لصالح هذه القضية، وأي جهود لدعم العائلات يجب أن تكون مبنيّة على هذه الطرق وتعزيزها.

التوصيات

حاولت هذه الدراسة أن تفهم التأثير الواقع على عائلات المفقودين، واحتياجاتهم فيما يتعلق بمعالجة الغموض أو تعلّم العيش بشكل جيد على الرغم من وجود المفقود في ظل غياب لأي إجابة. وعلى الرغم من أنّ العينات محدودة وتمثل عائلات من إقليمين فقط، إلا أن هذه العائلات تمثل شريحة نمطية للضحية من أزمة الحدود الجنوبية للاتحاد الأوروبي بعدة طرق.(الفئة الكبرى المحذوفة هنا هي الأريتيرين والأفغان والذين يشكّلون نسبة كبيرة من الأعداد المهاجرة عبر البحر المتوسط). وبالإضافة إلى التوصيات المقدّمة للسلطات فيما يتعلق بالتعرف على الجثث والمفقودين كجزء من مشروع المفقودين في البحر المتوسط، فإنّنا نتقدم بتوصيات تتعلق بدور العائلات في هذه العملية وتتعلق بالدعم المقدم لهم، وطريقة التعامل مع الجثث والحاجة لإرسال الجثث إلى الوطن الأم. وتقدّم هذه التوصيات إلى سلطات الدول التي تتواجد فيها عائلات المفقودين، والموجودين في دول تتعامل مع جثث المهاجرين وبياناتهم، ولدول الاتحاد الأوروبي بشكل أوسع. ويتضح من المنهج المتبع هنا أن لكل من الاتحاد الأوروبي ودوله التزامات قانونية[34] ومسؤولية أخلاقية في التعرّف على الجثث وضمان التواصل مع العائلات، فسياسات أوروبا العامة لعبت دوراً في كلّ من موت المهاجرين والتحديات الحالية في التعرّف على جثثهم.

مشاركة العائلات في عملية البحث والتعرّف على الجثث

هناك إجماع عام على ضرورة المشاركة الفعالة لأهالي المفقودين في عمليات البحث والتعرف على المفقود قدر الإمكان:

> يجب أن يتم بذل الجهود لتعزيز وتسهيل المشاركة الفعالة للأهالي في عملية البحث عن ضحايا الاختفاء القسري [...]، ويفضل وجود مساحة لكي يتمكن الأفراد من تنظيم وتأكيد أنفسهم ، وكذلك اتخاذ قرارات بيّنة في ضوء العمليات التقنية والقانونية التي تؤثر في حقوقهم [...] [35]

وبما أنّ هذا يخص ضحايا الاختفاء القسري، فهو متعلق أيضاً بالمهاجرين المفقودين، لضمان كل من الآثار الإيجابية التي تتركها عملية التعرف ونزاهتنا التقنية. فعن طريق العمل مع العائلات وحدها يمكننا الحصول على بيانات ما قبل الوفاة التي تجعل من التعرف على الجثث أمراً ممكناً.

وفي سياق المهاجرين المفقودين في أوروبا تبقى عائلات هؤلاء المفقودين بعيدة ومشتتة إلى درجة كبيرة، باستثناء العائلات الموجودة في الدول التي يتم جمع الجثث فيها والتي تتمكن من لعب دور هام. لذا فهناك تحديات عميقة في التواصل مع العائلات ليتم الحصول على بيانات ما قبل الوفاة للمساعدة في عملية التعرّف، وللعمل معهم على نطاق أوسع، فنجد أنّ أغلب العائلات لا دور لها في عملية التعرف أو أن دورها محدود جداً وبالتالي لا يمكن إبقاؤهم مطلعين على سير العملية المتعلقة بأقاربهم المفقودين، ولمعالجة هذا يجب على الدول الأوروبية ودول منشأ المهاجرين أن تلعب دوراً لبدء العمل مع العائلات.

تلعب حكومات دول المهاجرين دوراً فعّالاً في دعم عملية التعرف على الجثث والتواصل بين الدول المستقبِلة للمهاجرين وعائلات المفقودين، إلّا أنّه يجب اتّباع الحذر الشديد في هذا، فلا يمكن ضمان حماية اللاجئين من حكوماتهم، أو في الدول التي تُعتبر الهجرة فيها أحد مظاهر ضعف الوطنية، فإنّ العمل مع سلطات هذه الدول أمرٌ غير محتمل وربما يكون قضية أمنية بحد ذاتها. فمن لا يسعى للحصول على اللجوء قد يرحب بفكرة العمل مع هذه الحكومات، ولكن ، وفي كل الحالات، يجب أن يتمّ منح حق هذا القرار لعائلات المفقودين فيما إذا كانوا راغبين بالتواصل مع حكوماتهم، أو إبلاغهم عن هذا الوضع، فلذا يجب مراعاة هذا التحذير عند قراءة كافة التوصيات المتعلقة بالسلطات في دول المهاجرين.

للدول التي تتعامل مع الجثث وإدارة البيانات في أوروبا

يجب متابعة العمل في الاستراتيجيات لبدء العمل مع العائلات في دول منشأ المهاجرين، لجمع بيانات ما قبل الوفاة ولإبلاغ العائلات بالإجراءات العامة والتطورات الخاصة المتعلّقة بالحالات الفردية. ويشمل هذا :

- العمل الفعّال مع الممثلين الدبلوماسيين والحكومات في دول منشأ المهاجرين
- العمل الفعّال مع مجتمعات المهاجرين في أوروبا والتي قد تعمل كنواقل للعائلات في أوروبا وفي دول منشأ المهاجرين.
- التفكير في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كأداة للوصول إلى العائلات واستقبال المعلومات والبيانات المتعلّقة بالمفقودين.

---

[34] Grant, S. (2016) Dead and Missing Migrants: Obligations under International Human Rights Law, Mediterranean Missing Project: York.

[35] Navarro, S. et al. (2011) *International Consensus on principles and minimum standards for psychosocial work in search processes and forensic investigations in cases of enforced disappearances, arbitrary or extrajudicial executions*, Geneva: UN OHCHR.

- العمل مع المنظمات غير الحكومية والتي تتواصل مع عائلات المفقودين، أهمها حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

للسلطات في دول منشأ المهاجرين

- تعيين نقطة تواصل في الحكومة قادرة على استقبال ونشر المعلومات حول المهاجرين المفقودين من وإلى العائلات.
- توفير قنوات مؤسساتية للتواصل وحوافز لمشاركة البيانات مع رابطة عائلات المهاجرين المفقودين ليتم تواصل المعلومات في اتجاهين، وهي بيانات ما قبل الوفاة، والتطور الذي تصل إليه السلطات في عملية التعرف.
- تمثيل دبلوماسي في أوروبا ليتمّ فَهم مسؤولياتهم نحو المواطنين لكلّ من دعم العائلات التي تبحث عن أحبائها المفقودين ، والعمل كقناة لإيصال المعلومات بين العائلات والسلطات الأوروبية.

إدارة الجثث وإرسالها إلى الوطن الأم

إنّ الطريقة التي يتم التعامل فيها مع الجثث والبيانات في الدول الأوربية قد تشير إلى عدم القدرة على التعرف على الجثث نهائياً. لذا يجب أن يتمّ اتباع معايير معينة في جمع وإدارة الجثث، ويمكن الاطلاع على مناقشة هذا الموضوع والتوصيات المقترحة في التقارير المرفقة بهذا البحث.[36]

تواجه العائلات العديد من التحديات عند إعادة إرسال الجثث _ التي تمّ التعرّف عليها_ إلى الوطن الأم، وتستطيع الدول الأوربية تيسير هذا الأمر:

- أن تمنح الدول الأوربية تأشيرة دخول قصيرة الأمد بدواعٍ إنسانية للعائلات التي تبحث عن أحبائها المفقودين و تريد إرسال الجثث إلى الوطن الأم. ويجب أن تصدر هذه التأشيرة بشكل سريع وبدون ضرائب عالية لكيلا يتمّ حرمان الفقراء من هذا الأمر.
- مراجعة وتبسيط قوانين دول الاتحاد الأوروبي المتعلقة بنقل الجثث خارج البلاد لتتمكن العائلات من استعادة جثث أحبائهم بسهولة.
- إيجاد تمويل في الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء لدعم العائلات مادياً لاسترجاع الجثث إلى الوطن الأم عندما تعجز العائلات عن القيام بهذا بأنفسهم.

الدعم النفسي الاجتماعي للعائلات

ليس هناك أي وجود لجهود مخصصة لدعم عائلات المهاجرين المفقودين فيما يتعلّق بالغموض في هذا الفقدان سواء في أوروبا أو في دول منشأ المهاجرين. لذا نجد أنّ المساعدة المهنية المتوفرة قليلة جداً، و عند تقديمها نجدها تفتقر للملاءمة الطبية والثقافية. وقد يعاني الناجين من حوادث الغرق والذين لديهم أفراد مفقودين في العائلات من اضطراب ما بعد الصدمة ، كنتيجة لوجود شخص مفقود ويجب أن يتلقوا الدعم المطلوب.

للسلطات في دول الاتحاد الأوروبي ودول منشأ المهاجرين

- تحديد مختصين أو شبه مختصين يتمتعون بالمهارات والخلفية المناسبة لتقديم الدعم لعائلات المفقودين، وضمان حصولهم على التدريب اللازم لمعاجلة احتياجات العائلات أينما كانوا.

إلى السلطات في دول الاتحاد الأوروبي

- دعم وتطوير التدريب لفريق من المختصين في دول الاتحاد الأوروبي وخارجه، مع المهارات الاستشارية اللازمة لعائلات المفقودين ومن بينها استخدام منهج عدسة الفقدان الغامض.
- توفير التمويل لدعم التدريب والتمرين للمختصين في تقديم الاستشارة لعائلات المفقودين في دول منشأ المهاجرين.

دعم حراك العائلات

إحدى الطرق لتسهيل الوصول لعائلات المفقودين في دول العالم، وللحصول على بيانات ما قبل الوفاة هو دعم إيجاد شبكة لروابط العائلات القادرة على تمثيل العائلات على المستوى الوطني والدولي، ودعمهم محلياً عن طريق:

للسلطات في دول منشأ المهاجرين

[36] These include country reports on Greece and Italy, and a general summary report. These are available at www.mediterraneanmissing,eu

- تشجيع ودعم إنشاء رابطة لعائلات المفقودين

للسلطات في دول الاتحاد الأوروبي

- تشجيع ودعم إنشاء رابطة لعائلات المفقودين في أوروبا وإيجاد طرق لدعم هذه الرابطة في دول منشأ المهاجرين مادياً وبطرق أخرى.

توصيات لأبحاث مستقبلية

إنّ هذا التقرير يمثّل أوائل الجهود لفهم التأثير الناتج على عائلات المهاجرين المفقودين في البحر المتوسط واحتياجاتهم.[37] كما نأمل أن يكون هذا بداية لأبحاث تستطيع توضيح التأثير الواقع على العائلات، وأن تكون جزءاً من الدعوى لعمل أكبر يضمن التعرّف على الجثث، وتقديم الدعم لعائلات هؤلاء المفقودين، كما يستطيع البحث تحديد الجوانب والأسئلة البحثيّة القادرة على تطوير فهمنا لهذه الظاهرة وكيفية معالجتها:

- كيف يمكن العمل مع عائلات المفقودين بأفضل طريقة وبشكل يضعهم في مركز الجهود لمعالجة هذه القضية؟
- كيف يمكن أن يتمّ التواصل بين العائلات والسلطات على أفضل وجه لنقل بيانات ما قبل الوفاة إلى الدول التي تمتلك بيانات ما بعد الوفاة؟
- ما هي الطرق التي يمكن اتباعها للسماح للمهاجرين إلى أوروبا بالتواصل مع أهلهم وخاصة الشباب منهم والضعفاء والمحتجزين ؟
- كيف يمكن استغلال الطاقة الكبيرة لوسائل التواصل الاجتماعي كأداة لتبادل المعلومات مع عائلات المفقودين بطريقة فعّالة ومؤسساتية ، دون خرق خصوصية العائلات؟
- ما هي التجارب الجيدة في أوروبا وخارجها لأمثلة جمع ناجح للبيانات وإدارتها بشكل يطوّر عملية التعرف على جثث المهاجرين؟
- كيف يمكن التنسيق بين الجهات غير الحكومية من أصحاب الخبرة والشبكات التي قد تساعد في عملية التعرف على الجثث، وبين الدول المعنية لتطوير مناهج تداول البيانات؟
- كيف يمكن للدول الأوربية أن تضع سلسلة من الضوابط المبنية على حقوق الإنسان حول قضية المهاجرين المفقودين ليتمّ الالتزام بها، وسلسلة من البروتوكولات القادرة على تسهيل مشاركة البيانات على أرض الواقع؟

[37] The ICRC did however publish a study in 2013 presenting the needs of families of missing migrants from Senegal: ICRC (2013) *Barca ou Barsak: Etude sur les Besoins Actuels de Familles de Migrant Sénégalais Disparus*. ICRC: Geneva. The importance of the needs of families were also raised in the two 'Fatal Journeys' reports produced by IOM.

الملحق ا: عينات أفراد العائلات الذين تمت مقابلتهم

الشخص الي أجريت المقابلة معه						المفقود			
	علاقته بالمفقود	الجنس	الجنسية	بلد الاقامة	الديانة/ العرق	تاريخ الاختفاء	الوقت الذي مضى	الجنس	العمر
سوريين، عراقيين، فلسطينين ومصريين									
على الانترنت	ابن عم	رجل	سوري	الدنمارك	مسلم سني	28.10.15	30 يوم	رجل/ انثى	12/10
على الانترنت	ابنة	انثى	عراقي	العراق	مسلم شيعة	28.10.15	42 يوم	رجل	52
على الانترنت	اخت لمفقودين	انثى	سوري	المانيا	مسلم سني	10.7.14	17 شهر	رجل	24/16
على الانترنت	أخت	انثى	سوري	سوريا	مسلم	20.06.15	6 أشهر	رجل	29
على الانترنت	أب وعم	رجل	سوري	المانيا	مسلم/ كردي	11.11.15	40 يوم	رجل	أطفال
على الانترنت	أب	رجل	سوري	العراق	مسلم/ كردي	14.10.15	71 يوم	رجل	18
على الانترنت	ابن عم	رجل	سوري	السويد	مسيحي/ آشوري	28.10.15	شهرين	رجل	26
على الانترنت	عمة	أنثى	سوري	سوريا	مسلم	30.10.15	شهرين	انثى	7
على الانترنت	أم واخت	أنثى	فلسطيني/ سوري	سوريا	مسلم	30.08.14	17 شهر	رجل	39/19
على الانترنت	زوجة	أنثى	سوري	مصر	مسلم	06.09.14	16 شهر	رجل	-
على الانترنت	زوجة وأم (عائلة كاملة مفقودة)	أنثى	فلسطيني	مصر	مسلم	06.09.14	16 شهر	رجل/ انثى	+11
على الانترنت	ابن عم	رجل	فلسطيني	مصر	مسلم	06.09.14	16 شهر	رجل/ انثى	+11
على الانترنت	ابن وعم	رجل	عراقي	السويد	يزيدي	10.12.15	شهر واحد	رجل/ انثى	- /10
على الانترنت	أم وزوجة	أنثى	فلسطيني	مصر	مسلم	06.09.14	16 شهر	رجل	+11
على الانترنت	أب لمفقودين	رجل	عراقي	السويد	مسلم	13.09.15	4 أشهر	رجل / انثى	7/6
على الانترنت	زوجة	أنثى	سوري	السويد	مسلم	13.09.15	4 أشهر	رجل	20
وجها لوجه	أم	أنثى	سوري	تركيا	مسلم	16.12.15	شهر واحد	انثى	16
وجها لوجه	أخ (لمتوفي)	رجل	سوري	تركيا	مسلم	25.12.15	20 يوم	رجل/ انثى	متعدد
وجها لوجه	أخ	رجل	سوري	تركيا	مسلم	03.12.15	14 يوم	رجل	24

على الانترنت	أخ +عم	رجل	عراقي	تركيا	مسلم	10.12.15	40 يوم	رجل/ انثى	متعدد
على الانترنت	زوجة	أنثى	سوري	مصر	مسلم	03.09.14	16 شهر	رجل	-
على الانترنت	أخت	أنثى	عراقي	العراق	مسلم	23.08.15	5 أشهر	رجل	-
على الانترنت	أب	رجل	سوري	المانيا	مسلم	29.10.15	3 أشهر	انثى	7
على الانترنت	أب	رجل	سوري	السعودية	مسلم	14.09.15	4 أشهر	رجل	-
على الانترنت	اخ	رجل	مصري	مصر	مسلم	06.09.14	16 شهر	رجل	16
على الانترنت	ابن عم وزوج أخت	رجل	فلسطيني	المانيا	مسلم	18.09.14	16 شهر	رجل	31
على الانترنت	زوجة	أنثى	سوري	المانيا	مسلم	29.09.15	4 أشهر	رجل	32
على الانترنت	أخ واخت	رجل/ أنثى	فلسطيني	المانيا	مسلم	22.09.15	16 شهر	رجل	31
على الانترنت	أم	أنثى	سوري	سوريا	مسلم	12.09.15	4 أشهر	رجل	21
على الانترنت	أب/ زوج	رجل	سوري	تركيا/ اليونان	مسلم	29.11.15	10 أسابيع	رجل/انثى	شهر واحد/ 6 سنوات/ 28 سنة
عوحها لوجه	أب	رجل	سوري	تركيا	مسلم	17.09.15	5 أشهر	انثى	22
وجها لوجه	أب/ زوج/ ابن	رجل	سوري	تركيا/ السعودية	مسلم	24.12.15	شهرين	رجل/انثى	متعدد
على الانترنت	اخ	رجل	سوري	الدنمارك	كردي	01.11.15	4 أشهر	رجل	23
على الانترنت	أب وزوج	رجل	سوري	المانيا	سني	-	-	انثى	-
على الانترنت	أخ	رجل	عراقي	تركيا	-	02.09.15	5 أشهر	رجل	17
على الانترنت	جد	رجل	سوري	السويد	-	20.09.15	5 أشهر	رجل	3
على الانترنت	أم	أنثى	سوري	السويد	-	20.09.15	5 أشهر	رجل	3
على الانترنت	أب	رجل	سوري	السويد	-	31.12.15	3 أشهر	انثى	4
التونسيين									
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	24
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	24
وجها لوجه	زوجة	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	38
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	24
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	22
وجها لوجه	أب	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	23
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	31
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	28

وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	زوجة	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أب	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	18
وجها لوجه	أب	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	26.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	05.05.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.04.11	5 سنوات	رجل	19
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.04.11	5 سنوات	رجل	33
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.04.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أب	رجل	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أب	رجل	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	29
وجها لوجه	أب	رجل	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	34
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	27
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	28
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	06.09.12	4 سنوات	رجل	24
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	29.03.11	5 سنوات	رجل	-
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	27
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	31

وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	29
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	29
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	30
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	30
وجها لوجه	أم	أنثى	تونسي	تونس	مسلم	14.03.11	5 سنوات	رجل	31

مشروع المهاجرين المفقودين في البحر المتوسط

إن مشروع المفقودين في البحر المتوسط هو مشروع لمدة سنة واحدة يبدأ من شهر سبتمبر 2015 ، وهو مموّل من قبل مجلس الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية في المملكة المتحدة، وناتج عن التعاون بين جامعة يورك، جامعة مدينة لندن، ومنظمة الهجرة الدولية. ويعتبر هذا المشروع من أوائل الجهود المبذولة لجمع البيانات بشكل منظّم واكتشاف الاستجابات الموجودة حول جثث المهاجرين في البحر المتوسط، والأثر الناتج عن فقدان شخص في العائلة، حيث لقى حتفه أكثر من 3,770 شخص من المهاجرين بحرا أثناء عبورهم إلى أوروبا في 2015، ولم يتم التعرف على غالبية الضحايا، وفي كثير من الأحيان لم يتم العثور على جثثهم.

وفي الأحوال كلّها تعيش العائلات حالة من الفقدان الغامض، مترافقة بعدم القدرة على الحزن بشكل كافي على أحبائهم. وعلى الرغم من حجم مأساة الموت دون التعرف على الجثة ومعاناة العائلات اكتفت الدول بجهود شحيحة لمعالجة هذه الحقيقة. يهدف هذا المشروع لإلقاء الضوء على الفراغ السياسي في دول الاتحاد الأوروبي على المستوى الوطني عن طريق دراسة السياسات والممارسات في ايطاليا واليونان حول التعرف على الجثث ودفنها وإعادة إرسال الجثث إلى الوطن الأم. كما ويهدف البحث عن طريق مقابلات مع عائلات المهاجرين المفقودين من سياقات مختلفة إلى فهم التأثير الذي يتركه اختفاء شخص في العائلة على الصعيد النفسي والاقتصادي والاجتماعي.

وتتضمن نتائج البحث الإصدارات التالية:

- تقرير ايطاليا واليونان، ويتضمن نسخ مختصرة.
- تقرير عن دراسة التأثير على العائلة عند اختفاء أحد الأقارب في الهجرة.
- بيان موجز يلخص الالتزامات الواجبة على الدول بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان حول ما يتعلق بالمفقودين وجثث المهاجرين.
- دراسة حول إطار العمل القانوني المتعلق بالمهاجرين المفقودين وإدارة جثث المهاجرين في إيطاليا واليونان.

فريق العمل

فريدة بن عطية، تونس

براين تارا، منظمة الهجرة الدولية

أدريان كاراسكو هيرمان، مستشار أبحاث، منظمة الهجرة الدولية

ستيفاني غرانت، مركز حقوق الانسان، جامعة لندن للاقتصاد

كاتارينا جارفيس، المملكة المتحدة

ايوسيف كوفراس، محاضر أول في السياسات المقارنة، قسم السياسات الدولية، جامعة مدينة لندن

فرانك لازكو، مدير مركز تحليل بيانات الهجرة العالمية في منظمة الهجرة الدولية

جورجيا ميرتو، ايطاليا

كاتارينا بوليشروني، اليونان

سيمون روبينز، مركز حقوق الانسان التطبيقية، جامعة يورك

آن سينغليتون، زميل باحث، جامعة أبحاث السياسات، جامعة بريستول وكبير مستشاري مركز تحليل بيانات الهجرة العاملية في المنظمة الدولية للهجرة

أمل شياح، تركيا